تراثنا

نشرة فصلية تصدرها

مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث

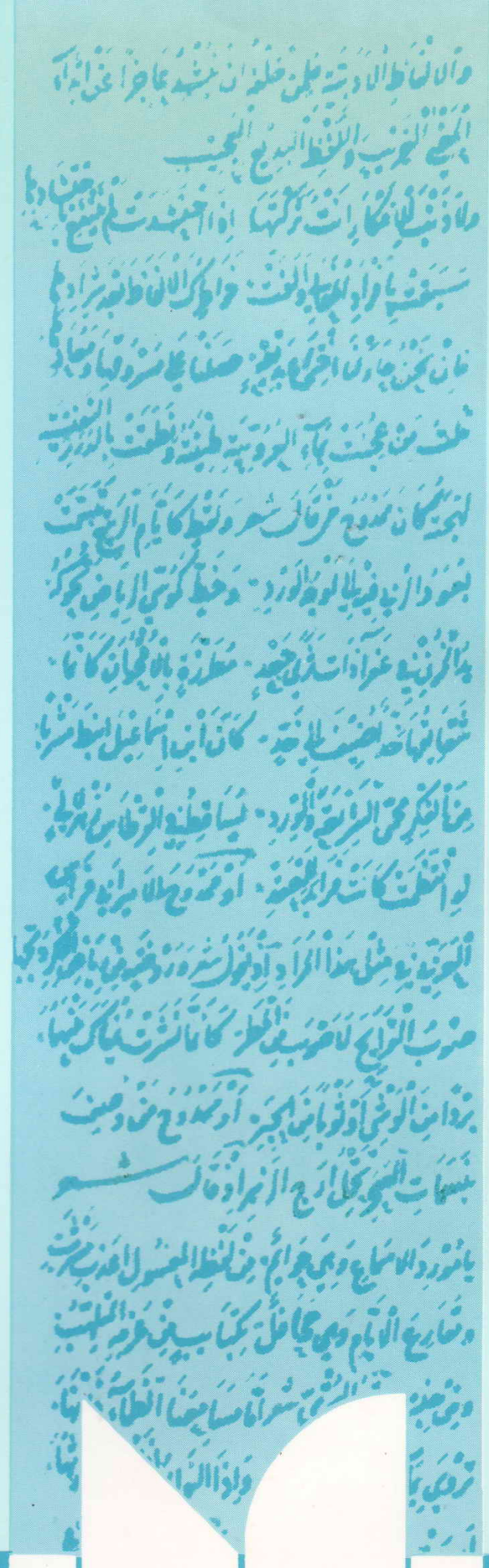

العدد الأول [١٨] السنة الخامسة/ محرّم الحرام ١٤١٠هـ.

تراثنا

نشرة فصلية تصدرها مؤسسة آل البيت ـ عليهم السلام ـ لإحياء التراث

- الإسهام في النشرة باب مفتوح لجميع العلماء والمحقّقين والمهتمّين بشؤون تراث أهل البيت عليهم السلام.
- الآراء المنشورة لا تعبّر عن رأي النشرة بالضرورة.
- ترتيب المواضيع يخضع لاعتبارات فنّية، وليس لأيّ اعتبار آخر.
- النشرة غير ملزمة بنشر كل ما يصل إليها.

المراسلات :

تعنون باسم: **هيئة التحرير**

بيروت ـ بئرالعبد ـ مقابل البنك اللبناني / الفرنسي

ص. ب. ٢٤/٣٤ ـ تلكس ٤٠٥١٢ ـ ت: ٨٢٠٨٤٣

تراثنا

العدد الأول [١٨] السنة الخامسة/ محرّم ـ ربيع الأول ـ ربيع الثاني ١٤١٠هـ.

الإعداد والنشر: مؤسسة آل البيت ـ عليهم السلام ـ لإحياء التراث.

الكمّية: ١٠٠٠ نسخة.

قيمة الإشتراك السنوي في نشرة تراثنا ١٥ دولاراً داخل لبنان ، و٢٥ دولاراً في البلاد العربية وأوروبا وآسيا وأفريقيا والأمريكيتين واستراليا . بضمنها أجور البريد المضمون .

زهرة الرياض

لابن طاووس

أسد مولوي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، وصلّى الله على صفوته من المخلوقين محمد وآله الطاهرين.

وبعد:

منذ وقعت بيدي النسخة المصوّرة من «زهرة الرياض» تأليف السيد أحمد ابن طاووس ، أعجبني مبناها ومعناها، ورأيت في نشرها فائدة للناس ، فهي تبلّ بالندى الأرِج جفاف حياة هذا العصر المادّية، وتوجّه قارئها ـ إنْ وُهب الاستعداد ـ إلى الارتباط بالرؤوف الرحيم، وتنفع المسلمين في إقامة ألسنتهم بلغتهم العربية المقدّسة.

لذلك فقد هيّأت النسخة التي بين يديّ للنشر في مجلّة من المجلّات السائرة في الآفاق، وهي نشرة ـ كما ترى ـ أوّلية، وإن سدّ الله الخلل ونفى الوجل كان لنا مع زهرة الرياض شأن آخر، إن شاء الله تعالى.

* * *

مؤلف الرسالة:

هو السيّد أحمد بن موسى بن جعفر بن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن محمد الطاووس ، العلوي، الحسني، الحلّي، أبو الفضائل، جمال الدين.

قال عنه تلميذه ابن داوود: «مصنّف، مجتهد، كان أورع فضلاء زمانه، قرأت عليه. وكان شاعراً مصقعاً بليغاً منشئاً مجيداً..».

وعدّ جملة من كتبه وقال: «وله غير ذلك تمام اثنين وثمانين مجلّداً، من أحسن التصانيف وأحقّها، وحقّق الرجال والرواية والتفسير تحقيقاً لا مزيد عليه.

ربّاني وعلّمني وأحسن إليّ، وأكثر فوائد هذا الكتاب ونكته من إشاراته وتحقيقاته. جزاه الله عنّي أفضل جزاء المحسنين.

توفّي سنة ٦٧٣هـ»[١].

شيوخه:

منهم:

فخار بن معد الموسوي.

محمد بن جعفر بن نما، نجيب الدين.

محمد بن أحمد أبي غالب.

الحسين بن حشرم، أبو علي.

محمد بن معد الموسوي[٢].

---

(١) رجال ابن داوود ٤٥ رقم ١٤٠.

قال السيّد الروضاتي في تحقيقه لروضات الجنّات ١٤٩/١ هامش ـ في ذكر مترجمي السيّد ـ :«وربّما ليس في كثير ممّا ذكرنا [يعني قائمة المترجمين الطويلة التي ذكرها] شيء سوى نقل كلام ابن داوود، أو نزر يسير في ذكر الرجل».

(٢) طبقات أعلام الشيعة (الأنوار الساطعة): ١٣ ـ ١٤.

تلامذته:

منهم:

العلّامة الحلّي.

تقيّ الدين الحسن بن علي بن داوود.

شمس الدين محمد بن أحمد بن صالح القسيني.

ولده عبد الكريم بن أحمد بن موسى ابن طاووس [٣].

مؤلفاته:

١ـ الاختيار في أدعية الليل والنهار، مجلّد.

٢ـ الأزهار في شرح لاميّة مهيار، مجلّدان.

٣ـ بشرى المحقّقين، في الفقه، ٦ مجلّدات.

قرأه عليه تلميذه ابن داوود.

٤ـ بناء المقالة الفاطمية في نقض الرسالة العثمانية، مجلّد.

حقّقه صديقنا العلّامة السيّد علي العدناني وفّقه الله.

٥ـ الثاقب المسخّر على نقض المشجّر، في أُصول الدين.

٦ـ حلّ الإشكال في معرفة الرجال.

كانت نسخة الأصل منه عند الشهيد الثاني رحمه الله، وكان ينقل عنها كثيراً في تعليقاته على الخلاصة وغيرها، ثم انتقلت إلى ولده الشيخ حسن، فصنّف في تحريره وتهذيبه كتابه المسمّى بالتحرير الطاووسي.

ونقل أنّه اقتصر في حلّ الإشكال غالباً على التكلّم في أسانيد ماله دخل

---

(٣) طبقات أعلام الشيعة (الأنوار الساطعة): ١٣.

بالرجال من خصوص أخبار الكشّي أو الاختيار[٤].

وعمد الشيخ عبد الله بن حسين التستري فاستخرج منه ما أدرجه السيّد فيه من كتاب الرجال الضعفاء لابن الغضائري، وهو الموجود اليوم من رجال ابن الغضائري[٥].

٧ـ ديوان شعره:

قال الشهيد الثاني في إجازته للشيخ حسين بن عبد الصمد: «وقال السيّد غياث الدين عبد الكريم ولده [أي ولد مؤلف هذه الرسالة] في إجازته للشيخ كمال الدين علي بن الحسين بن حمّاد، ما هذا لفظه: وليروِ عنّي ما أجازه لي والدي وعمّي رضيّ الدين علي بن موسى ابن طاووس رضي الله عنهما، من مروياتهما ومصنّفاتهما وخطبهما ونثرهما، وكلّ ما يصحّ روايتهما لي، فإنّ مصنّفاتهما كثيرة، وديوان شعر والدي»[٦].

٨ـ الروح، نقضاً على ابن أبي الحديد.

٩ـ زهرة الرياض ، في المواعظ، مجلّد.

وهو كتابنا هذا.

١٠ـ السهم السريع، في تحليل المبايعة مع القرض ، مجلّد.

١١ـ شواهد القرآن، مجلّدان.

١٢ـ عمل اليوم والليلة، مجلّد.

١٣ـ عين العبرة في غبن العترة، مجلّد.

١٤ـ الفوائد والعدة، في أُصول الفقه، مجلّد.

١٥ـ الكُرّ، مجلّد.

١٦ـ المسائل، في أُصول الدين، مجلّد.

---

(٤) روضات الجنّات ١:١٥٠ ـ ١٥١.

(٥) مصفّى المقال: ٧٢.

(٦) أمل الآمل ٢:٣٠.

١٧ـ الملاذ، في الفقه، ٤ مجلّدات.

قرأه عليه تلميذه ابن داوود.

وذكر له كحّالة كتاب الكرم في مجلّد ضخم[٧]، ولعلّه كتاب الكُرّ.

المخطوطة:

النسخة التي حُقّقت عليها هذه النشرة لرسالة زهرة الرياض، أصلها مجلّد محفوظ في مكتبة حضرة الإمام الرضا عليه السلام في مشهد، وهذا المجلّد يشتمل على اثنتين وثلاثين رسالة منها رسالتنا هذه.

رقمها العمومي في المكتبة ٨٢٨٣، ورقمها الخاص ١٨٤، وعدد صفحاتها أربعون صفحة، طول الصفحة ٣١سم، وعرضها ٩سم، وعدد سطورها ٢٣سطراً.

وقد كتبت في ١٧ محرّم الحرام سنة ٩٨٦هـ.

وقد شكلت النسخة بالحركات، ولكنّه شكل موهم، فإنّ فيه من الأخطاء الشيء الكثير، ولذلك لم أعتدّ بذلك الضبط، وضبطت ألفاظ هذه الرسالة بالاستعانة بمعاجم اللغة.

وقد بقيت عدّة كلمات لا تجاوز أصابع اليد الواحدة شككت فيها فأبقيتها على حالها، لقلّة المصادر.

وفي الختام أقول: إنّ من لا يشكر الناس لا يشكر الله، ولذا فإنّي أتقدّم بالشكر لإدارة مؤسسة آل البيت عليهم السلام لجلبهم النسخة المصوّرة، وأُثنّي بالشكر لإدارة مجلّة «تراثنا» لتحملّهم مشقّة الإشراف على الطبع.

والله وليّ التوفيق.

أسد مولوي

---

(٧) معجم المؤلّفين ٢:١٨٧.

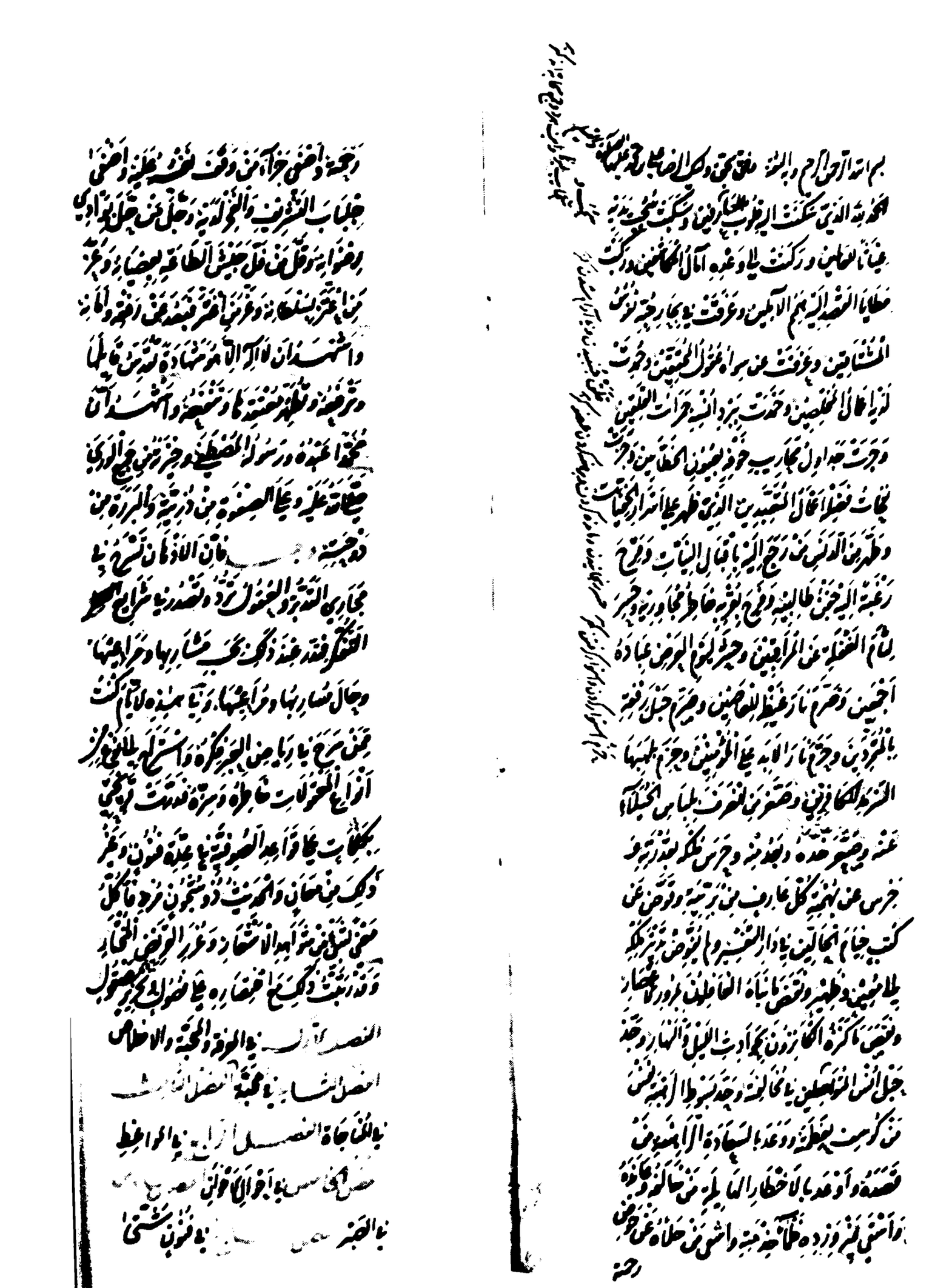

* صورة الصفحتين الأوليين من مخطوطة «زهرة الرياض» المحفوظة في مكتبة الإمام الرضا عليه السلام في مشهد.

* صورة الصفحتين الأخيرتين، من مخطوطة «زهرة الرياض» المحفوظة في مكتبة الإمام الرضا عليه السلام في مشهد.

بسم الله الرحمن الرحيم

وبِهِ الثقة

الحمدُ للهِ الذي سَكَنَتْ إليهِ قلوبُ العارِفين، وسَكَبَتْ سُحُبُ يَديهِ غِياثاً لِلعالَمين.

وركَنَتْ إلى وَعْدِهِ آمالُ الـمُكاشفين، ورَكِبَتْ مَطايا القَصْدِ إليهِ هِمَمُ الآمِلين.

وغَرِقَتْ في بِحارِ حُبِّهِ نُفوسُ الـمُشتاقِين، وعَزَفَتْ عَنْ سِواهُ عُقولُ الـمُحَقِّقين.

وحُمِدَتْ لَدَيهِ أَعمالُ الـمُخْلِصين، وخَمَدَتْ بِبَرْدِ أُنْسِهِ جَمَراتُ القَلِقين.

وجَرَتْ جَداوِلُ مَحارِيبِ خَوْفِهِ بِعُيونِ الخَطّائِين، وجَزَتْ نَفَحاتُ[1] فَضْلِهِ أَعمالَ الـمُتَعبِّدين.

الذي ظَهَرَ على أَسرارِ الخَفِيّات، وطَهَّرَ من الدَّنَسِ مَنْ رَجَعَ إلَيهِ بإقبالِ النِّيّات.

ومَرِحَ[2] رَغْبَةً إلَيهِ جَفْنُ طالِبيه، وفَرِحَ بِقُرْبِهِ خاطِرُ مُجاوِريه.

وحَسَرَ لِثامَ الغَفْلَةِ عَن الـمُراقِبين، وحَشَرَ لِيَومِ العَرْضِ عِبادَهُ أَجْمَعين.

---

(١) النفحات: العطايا.

(٢) مرحت العين: غزر دمعها.

وضَرَّمَ[٣] نارَ غَيْظِهِ للعاصِين، وصَرَّمَ[٤] حَبْلَ رِفْقِهِ بالـمُتَمَرِّدين.

وحَرَّمَ نارَ الأَبَدِ على الـمُؤْمِنين، وجَزَمَ بِلَهَبِها السَّرْمَدِ للكافِرين.

وصَغَّرَ مَن انْصَرَفَ بِلِباسِ الخُيَلاءِ عَنْه، وصَعَّرَ خَدَّهُ وبَعُدَ مِنْه.

وحَرَسَ مُلْكَهُ بِقُدْرَتِه، وخَرِسَ عَنْ بُهْمَتِهِ[٥] كُلُّ عارِفٍ مِنْ بَرِيَّتِه.

وقَوَّضَ عن كَثَبٍ خِيامَ الحالِّينَ في دارِ التَّغْيير، ولَمْ يُفَوِّضْ تَدْبِيرَ مُلْكِهِ إلى مُعِينٍ وظَهِير.

ونَقَضَ ما بَناهُ الغافِلُونَ بِمُرُورِ الأَعْصار، ونَقَصَ ما كَنَزَهُ الكانِزُونَ بِحَوادِثِ اللَّيلِ والنَّهار.

وجَذَّ حَبْلَ أُنْسِ الـمُتَواصِلِين في مُخالَفَتِه، وحَدَّ[٦] بِسَوطِ الرَّهْبَةِ نَفْسَ مَنْ كُوشِفَ بِعَظَمَتِه.

ووَعَـدَ بِالسَّعادَةِ الرّاهِنَةِ مَنْ قَصَدَه، وأَوْعَدَ بِالأَخْطارِ الهائِلَةِ مَنْ خالَفَهُ وعانَدَه.

وأَسْقى نَمِيرَ وِرْدِهِ ظِماءَ[٧] خِدْمَتِه، وأَشْقى مَنْ حَلَّأَهُ[٨] عَنْ حَوْضِ رَحْمَتِه.

وأَصْفى جَزاءَ مَنْ وَقَفَ نَفْسَهُ عَلَيْه ، وأَضْفى جِلْبابَ التَّشْرِيفِ

---

(٣) ضرّم النار: أهبها، والتشديد للمبالغة.

(٤) صرّم الحبل: قطّعه، والتشديد للتكثير.

(٥) البُهمة: المعضل من الأمور، ولعله يعني الغيب.

(٦) حدّ النفس: أدّبها بما يمنعها من المعاودة.

(٧) الظِماء: جمع ظامئ، وهو العطشان.

(٨) حلّأه عن الورد: طرده.

والفَخْرِ لَدَيْه.

وجَلَّ مَنْ حَلَّ بوادِي رِضْوانِه، وقَلَّ مَنْ فَلَّ جَيْشَ الطَّاعَةِ بِعصيانِه.

وعَزَّ مَن اعْتَزَّ بِسُلْطانِه، وغَرَّ[٩] مَن اغْتَرَّ فَبَعُدَ عَن رِفْقِه وأَمانِه.

وأَشْهَـدُ أَنْ لا إِلهَ إِلاّ هُوَ، شَهادَةً تُقَدِّسُ قائِلَها وتَرْفَعُه، وتُطَهِّرُ مُعْتَقِدَها وتَنْفَعُه.

وأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الـمُصْطَفى، وخِيَرَتُهُ مِنْ جَمِيعِ الوَرى.

صَلّى الله عليه، وعلى الصِّفْوَةِ مِن ذُرِّيَّتِه، والبَرَرَةِ مِنْ دَوْحَتِه.

وبَعْدُ:

فإِنَّ الأَذْهانَ تَسْرَحُ في مَجارِي التَّدَبُّر، والعُقُولَ تَرِدُ وَتَصْدُرُ في شَرائعِ التَّفَكُّر.

فتَدُرُّ عِنْدَ ذلِكَ بِحَسبِ مَشارِبِها ومَراعِيها، وحالِ مُسارِبِها[١٠] وَمُراعِيها.

وفي هذِهِ الأَيّامِ كُنْتُ مِمَّنْ سَرَحَ في رِياضِ العِبَرِ فِكْرُه، واستراحَ إِلى نَوعٍ مِن أَنواعِ الـمَعْقُولاتِ خاطِرُهُ وَسِرُّه.

فدَرَّتْ قَرِيحَتي بِكَلِماتٍ على قَواعِدِ الصُّوفِيَّةِ في عِدَّةِ فُنُون، وغيْرِ ذلِكَ مِن مَعانٍ، والحَدِيثُ ذُو شُجُون.

مُرْدِفاً كُلَّ مَعْنىً بِشَيءٍ مِن شَواهِدِ الأَشْعار، وغُرَرِ القَرِيضِ

---

(٩) غَرَّ: غفل وجهل.

(١٠) المُسارب: المُراعي للشيء المعتني به.

الـمُخْتار.

وَقد رَتَّبْتُ ذلِكَ ـ مَع اخْتِصارِهِ ـ على فُصُول، وتَحْرِيرٍ مَصْقُول:

الفَصلُ الأَوّل: في الـمَعْرِفَةِ والـمَحَبَّةِ والإِخْلاص.

الفَصلُ الثاني: في مَحَبَّةِ اللهِ تَعالى.

الفَصلُ الثالِث: في الـمُناجاة.

الفَصلُ الرابع: في الـمَواعِظ.

الفَصلُ الخامس: في أَحوالِ الإِخوان.

الفَصلُ السادس: في الصَّبْر.

الفَصلُ السابع: في فُنُونٍ شَتّى.

* * *

الفَصلُ الأولُ
في المَعْرِفَةِ والمَحَبَّةِ والإِخْلاص

قلتُ:

مَن رَضِعَ ثَدْيَ المَعارِفِ الإلهيّة، ورُصِعَ[١١] الحُبُّ في سَرائِرِهِ الزَّكِيَّة.

ذَهَلَ عَمّا سِوى ذلك المَجْد، وتَخَلّى مِمّا عَدا ذلك الشَّرَف.

ورأى السَّعادَةَ كامِنَةً في مُحارَبَةِ جُيُوشِ الهَوى، مَعْقُودَةً بِنَواصِي خُيولِ مُجاهَدَةِ الشَّهْوَة.

فامتَطى مِنْها سابِحاً مُعْتادَاً خَوْضَ لُجَجِ الجَحافِل، واقتِحامَ تَيّارِ القَساطِل[١٢].

واسْتَعَدَّ قَلْباً لا يُدانيهِ الجَزَع، وسَيفاً لا يَثْلِمُهُ القِراع.

مُرْدِياً بِهِ شُجعانَ كَتائِبِ المَتالِف، هازِماً فَيالِقَ الغُرورِ بِفُرسانِ جِلادِ العَزْم.

مُسْتَصْغِراً زَهَراتٍ تُصَوِّحُ[١٣] عَنْ كَثَب[١٤]، وتَزُولُ عَن قَلِيل.

لاجِئاً إلى حَرَمِ العِزِّ الباقِي.

مُسْتَظْهِراً بِعَظَمَةِ السُّلْطانِ الأَقْدَم.

---

(١١) رُصِع: رُكّب ولُزِق.

(١٢) القساطل: جمع قسطل وهو غبار المعركة.

(١٣) صَوّح الزهر: يبس.

(١٤) الكَثَب: القُرب.

صادِعاً بِفَجْرِ البَصيرةِ غَياهِبَ[١٥] دَنَسِ المَاذَقَة[١٦].

صافِياً مِن كَدَرِ شَوائِبِ الرِّياء.

مَحْرُوساً مِن حَبائِلِ فَضائِحِ النِّفاق.

قائِلاً عِنْدَ لَمْحِ جَلالِ الخالِقِ في أُفُقِ الأَلْباب، ومُشاهَدَتِهِ في صَفاءِ مَطالِعِ العُقُول، وصَرْفِ النَّفْسِ عَن مَيْلِها إِلى ظُهُورِ البَشَرِ[١٧] عَلى فِعْلِ قُرْبَةٍ واعتِمادِ طاعَة:

فَلَيْتَكَ تَحْلُو والحَياةُ مَرِيرَةٌ
وَلَيْتَكَ تَرضى والأَنامُ غِضابُ
وَيالَيْتَ ما بَيْني وَبَيْنَكَ عامِرٌ
وَبَيْني وَبَيْنَ العالَمِينَ خَرابُ

معنىً آخَر

قلتُ:

بالمَعْرِفَةِ حَنَّ المُشْتاقُ إِلى ذلِكَ الجَناب، وسَمَحَ جَفْنُهُ بالتَّسْكاب، واسْتَعانَ على شَجْوِهِ بِخُلَصاءِ الأَحْباب.

لَوْلا هَواكِ لَما اسْتَلْمَعْتُ بارِقَةً
ولا سَأَلْتُ حَمامَ الدَّوْحِ إِسْعادِي
ولا مَرَرْتُ على الوادِي أُسائِلُهُ
بالدَّمْعِ حتّى رَثى لي جانِبُ الوادِي

---

(١٥) الغياهب: الظلمات.

(١٦) الماذقة: عدم الإخلاص .

(١٧) أي حب تبين هذه القربة للناس، وفيه شائبة الرياء.

معنىً آخَر

قلتُ:

إذا سَكَبَتْ سَحائِبُ المَعْرِفَةِ في صَحارِي القُلوبِ الزّاكِيَةِ اهْتَزَّتْ رَبَواتُها، وَتَدَبَّجَتْ [١٨] بفَيْضِ ذلكَ السَّكْبِ رَوْضاتُها.

وهَبَّتْ نَسائِمُ المَحَبَّةِ على قُلُوبِ العارِفين فَحَرَّكَتْ أتْواقَها[١٩]، وحَرَمَتِ الرُّقادَ آماقَها.

وراقَ الأسْماعَ سَماعُها، عند تَنَبُّهِ وَجْدِ الواجِدين، وارْتِياحِ المُشْتاقِين، وحَياةِ أرواحِ المُخاطَبين.

إذا الصَّبا سَحَبَتْ أذْيالَها سَحَراً
على العَقيقِ وَمَرَّتْ في رُبا إِضَمِ [٢٠]
وحَرَّشَتْ بَيْنَ بانِ الجِزْعِ [٢١] ظالِمَةً
وَشيحِهِ، وَمَضَتْ في الضّالِ والسَّلَمِ [٢٢]
تَنَبَّهَ الوَجْدُ واشْتاقَ المَشُوقُ بها
وعاشَت الرُّوحُ بَعْدَ الأَخْذِ بالكَظَمِ [٢٣]

---

(١٨) دَبَّجَ المطرُ الأرضَ: زينها بالرياض .

(١٩) أتواقها: أشواقها.

(٢٠) إضم: موضع.

(٢١) الجزع: منعطف الوادي.

(٢٢) البان والشيح والضال والسلم: نباتات برية.

(٢٣) الكظم: مخرج النَّفَس.

معنىً آخَر

قلتُ:

مَن عَرَفَ اسْتَصْغَرَ كبيرَ خِدْمَتِه.

واعْتَرَفَ بالحقِّ عَلَيهِ في خُضُوعِهِ ومُجاهَدَتِه.

واسْتَعْظَمَ الإشارَةَ إلى مَنْ بَهَرَ العُقُولَ شَرَفُ عَظَمَتِه.

أُجِلُّكَ أَنْ أَشْكُو الهوى مِنْكَ إِنَّني
أُجِلُّكَ أَنْ تُومِي إِلَيْكَ الأَصابِعُ
وأَصْرِفُ طَرْفي نَحْوَ غَيْرِكَ عامِداً
عَلى أَنَّهُ بِالرُّغْمِ نَحْوَكَ راجِعُ

* * *

الفصل الثاني
في محبّة الله تعالى

قلتُ:

مَن عَدِمَ لِبــاسَ الأُنْسِ بِالـمَعــارِفِ الـرَّبّـانِيَّة، وفَقَـدَ رُوحَ الـمُخاطَباتِ الإلهيَّة.

كان بِمَعْزلٍ عَن الـمَسَرَّةِ عِنْدَ الخَوْضِ في هاتِيكَ الفُنُون، وأَينَ الجَذِلُ الفَرِحُ مِن الـمَحْزُون؟!

خُذا مِن صَبــا نَجْــدٍأَمـانَـاً لِقَلْبِـهِ
فَقَــدْ كادَ رَيّاهــا يَطِيرُ بِلُبِّــهِ
وَإِيّاكُــما ذاكَ الــنَّــسِــيمَ فَإِنَّــهُ
إِذا هَبَّ كانَ الـوَجْـدُ أَيْسَـرَ خَطْبِهِ
خَلِيلَيَّ لَو أَحْــبَــبْتُــما لَعَـلِمْـتُــما
مكانَ الهَوى مِن مُغْرَمِ القَلْبِ صَبِّهِ
تَذَكَّـرَ والـذِّكْرى يَسُوقُ وذُو الهَوى
يَتُــوقُ، ومَن يَعْلَقْ بِهِ الحُبُّ يُصْبِــهِ
غَرامٌ على يَأْسِ الهَــوى ورَجـائِـهِ
وشَـوْقٌ على بُعْـدِ الـمَـزارِ وقُـرْبِـهِ
وفي الحَيِّ مَحْنِيُّ الضُلُوعِ على جَوىً
متى يَدْعُــهُ داعِي الغَــرامِ يُلَبِّــهِ

إذا نَفَحَتْ[٢٤] مِن جانِبِ الغَورِ نَفْحَةٌ
تَنَبَّهَ مِنها داؤُهُ دُونَ صَحْبِهِ

معنىً آخَر

قلت:

إذا صَدَقَت الـمَحَبَّةُ طُوِيَت الـمَسافَةُ بَيْنَ الـمُحِبِّ وحَبِيْبِه، وسَهُلَ على الـمُغْرَمِ سُلُوكُ بَعِيدِ[٢٥] الـمَزارِ وقَرِيبِه.

وَكُنْتُ إذا ما جِئْتُ سُعْدى بأَرْضِها
أرى الأَرْضَ تُطْوى لي وَيَدْنُو بَعِيدُها
مِن الخَفِراتِ البِيضِ وَدَّ جَلِيسُها
إذا ما قَضَتْ أُحْدُوثَةً لَو تُعِيدُها[٢٦]

* * *

---

(٢٤) نفح الطيب: فاح.

(٢٥) في الأصل: «بُعد» والمناسب ما أثبتناه.

(٢٦) في هامش ص ٥: «من كتاب أُنس الوحيد، تصنيف شيخنا أبي جعفر تغمده الله بالرأفة والرحمة».

قال صاحب الذريعة ٣٦٨/٢ رقم ١٤٩٦: «أنس الوحيد: مجموعة للشيخ أبي جعفر محمد ابن الحسن بن علي الطوسي، المتوفى سنة ٤٦٠، عده في فهرسته من تصانيفه».

قلت: البيتان نقلهما الزبيدي في تاج العروس (حدث) عن شرح الفصيح لأبي جعفر اللبلي عن المبرد.

معنى

قلتُ:

مَعاهِدُ الوَفاءِ مَأْلُوفَةٌ لِـمَن صَحَّ وفاؤُه، وخَلُصَ من العَوارِضِ صفاؤُه.

فَهُوَ يَحِنُّ إليها عِنْدَ البُعْدِ مِنها، والرِّحْلَةِ عَنها.

أَحِـنُّ إلى وادِي الأَراكِ صَبـابَـةً
لِعَهْـدِ الصِّبـا فِيهِ وتَـذْكـارِ أَوَّل
كَأَنَّ نَسِـيمَ الـرِّيحِ في جَنَبـاتِـهِ
نَسِـيمُ مُحِبٍّ أَو لِقـاءُ مُؤَمَّـلِ

معنى

قلتُ:

إذا وَجَـدَ الـمُحِبُّ طَريقاً إلى مُشاهَدَةِ الـمَحْبُوب، فَرَضَ على نفسِهِ سُلُوكَ سهْلِهِ وَمُسْتَوعَرِه، وهَوَّنَ فُنُونَ إبْعادِهِ وخَطَرِه.

أُسـائِـلُكُمْ عَنهـا فَهـلْ مِنْ مُخبِرٍ
بِنُـعْمٍ فَما لي بَعـدَ مَكِّيِّنـا[٢٧] عِلْمُ

---

(٢٧) المكّي: الحاجّ، يقول: ليس لي علم بنُعم إلّا ماجاء به الحجّاج، أمّا بعد ذلك فما أدري أين يمّموا.

فَلو كُنتُ أَدري أَينَ خَيَّمَ أَهْلُهـا
وَأيَّ بِلادِ اللهِ إِذْ ظَعَنُـوا أَمُّـوا[٢٨]
إِذاً لَسَلَكْنـا مَسْلَكَ الـرِّيحِ خَلْفَهـا
وَلَـو أَصْبَحَتْ نُعْمٌ وَمِنْ دُونِها النَّجْمُ

معنى

قلتُ:

الـمُحِبُّ يَجِدُ الأَلَمَ لَذَّةَ في رِضى أَهْلِ مَحَبَّتِه، والصَّبرَ شَهْداً[٢٩] في القُرْبِ مِنْ خُلَصائِهِ في مَوَدَّتِه.

حَلا لِيْ اشتِهاريْ وافْتِضاحيْ بِحُبِّكُمْ
وَأيُّ مَرِيرٍ فِيكُـمُ لِيَ لا يَحْلُو
عَذابِيَ عَذْبٌ، واشْتِهـاريْ صِيانَـةٌ
وَسَـتْرٌ، وظُـلْمـي في مَحَبَّـتِكُمْ عَدْلُ
يُهَدِّدُني بِالـقَتْـلِ جَهْـراً عُداتُكُمْ
ويا حَبَّـذا في حُبِّ مِثْلِكُمُ القَتْـلُ

* * *

---

(٢٨) في المخطوط: «ثمو».

(٢٩) الصَّبِر: دواء مر جداً. والشَّهد: العسل.

معنى

قلتُ:

الـدَّعوى الصَّحِيحَةُ ما اعْتَضَدَتْ بِالبُرهان، أو نَطَقَ بِتَصْدِيقِها لِسانُ العِيان.

لا ما شَهِدَت الاعْتِباراتُ بِتَكْذِيبِ مُدَّعِيها، وتَلْبِيسِ أَهْلِيها.

وَلَمّـا ادَّعَـيْتُ الُحـبَّ قالَتْ: كَذَبْتَني

فمالي أَرى الأَعْضـاءَ مِنْـكَ كَواسِيا

فما الحُبُّ حَتّى يَلْصَقَ القَلْبُ بالَحشا

وَتَـذْبُـلَ حَتّى لا تُجِيب الـمُنـادِيا

وتَنحَـلَ حَتّى لا يُبَقِّي لَكَ الهَـوى

سِوى مُقْـلَةٍ تَبْكِي بِها وتنـاجِيـا

معنى

وَهُوَ أَوَّلُ شَيءٍ سَطَرْتُهُ مِن هذِهِ الـمَعاني.

قلتُ: إنَّه يَجِيءُ على قَواعِدِ الصُّوفِيَّةِ القَوْلُ بامتِناعِ السَّهْوِ في العِباداتِ، أو لُزُومِه:

وَجْهُ الأَوَّل:

أنَّه إذا انْتَهَت الـمَحَبَّةُ إلى أَرْفَعِ دَرَجاتِ غاياتِها، وأَبْلَغِ مَراتِبِ مقاماتِها.

كان الـمُحِبُّ وَقْفاً على امْتِثالِ مَراسِمِ الـمَحْبُوبِ في النَّهي والأَمْر، لِعَدَمِ خُلُوِّهِ مِنْهُ في السِّرِّ والجَهْر.

واللهِ ما طَلَعَتْ شَمْسٌ ولا غَرَبَتْ
إلّا وَكُنْتَ مُنى قَلبِي وَوَسْواسِي
ولا جَلَسْتُ إلى قَوْمٍ أُحَدِّثُهُمْ
إلّا وَكُنْتَ حَدِيثي بَيْنَ جُلّاسِي
ولا شَرِبْتُ زُلالَ الماءِ مِنْ ظَمَأٍ
إلّا وَجَدْتُ خَيالاً مِنْكَ في الكاسِ

وَوَجْهُ الثّاني:

أَنَّ الحُبَّ إذا صَفا من الشَّوائِب، وخَلُصَ من الـمَعايب.

حَصَلَ[٣٠] الـمُحِبُّ مِن الـمَحْبُوبِ بِقُيُودِ أَسْرِه، واشْتَغَلَ به عن اسْتِمرارِ تَعَقُّلِ أَمْرِهِ وَزَجْرِه.

جَرى حُبُّها مَجْرى دَمِي مَفاصِلي
فَأَصْبَحَ لي عَنْ كُلِّ شُغْلٍ بِها شُغْلُ

معنى

قلتُ:

مَنْ عَلِقَهُ الغَرامُ وَحَكَمَ فِيه، وأَصْماهُ[٣١] الحُبُّ بِنَوافِذِ مَرامِيه.

---

(٣٠) حَصَلَ: بقي وذهب ما سواه.

(٣١) أصماه: رماه فقتله.

كان مُلْتَذّاً بِسَهَرِ الجُفُونِ في طَرِيقِ مَحَبَّتِه، مَسْرُوراً بِبَذْلِ مُهْجَتِهِ في رِضى أَحِبَّتِه.

أَهْــوى الـغَــرامَ لِقَلْبِي في مَحَبَّتِكُمْ
وأَسْـتَـلِذُّ لِطَرْفي فِيكُـمُ الـسَّـهَــرا
لَو يُشْـتَرى وَصْلُكُمْ ساوَمْتُ بائِعَـهُ
بِمُهْجَتي، وَبَـذَلْتُ السَّمْـعَ والبَصَـرا

معنى

قلتُ:

نَتائِجُ رُؤْيَةِ مَنازِلِ الأَحِبَّةِ هَطْلُ جُفُونِ الـمُحِبِّين، وَحَسَراتُ الـمُشْتاقِين.

لتَذْكارِهِمْ عُهُوداً تَقَضَّتْ بِعَرَصاتِها، ومَسَرّاتٍ مَضَتْ بِأَقْطارِها وَجِهاتِها.

فَهُم لِذلكَ العَهْدِ راعُون، ولِسالِفِ الأُنْسِ باكون.

وَقَــفْـتُ على رَبْــعٍ لِـمَـيَّةَ ناقَـتي
فما زِلْتُ أَبْكي عِنْــدَهُ وَأُخــاطِبُــهْ
وَأَسْــقِــيهِ حَتّــى كادَ مِمَّا أُبُــثُّــهُ
تُكَـلِّـمُـني أَحْـجــارُهُ ومَــلاعِـبُــهْ

* * *

معنى

قلتُ:

إيثارُ الـمُحِبِّ لِلْبَقاءِ حَيْثُ يَنْدَرِجُ تَحْتَهُ القُرْبُ مِنْ أَحِبَّتِه، والدُّنُوُّ مِنْ أُنْسِهِ بِالبُكِي زِمامِ حُشاشَتِه.

فإنْ فَقَدَ ذاكَ وَدَّعَ صَفْوَ حَياتِه، وخَلَعَ سِرْبالَ مَسَرّاتِه.

لا أَبْتَغِي بِالحِمى ظِلًّا ولَسْتِ بِهِ
إذا نَأَيْتِ فما لي بِالحِمى وَطَرُ
ولا أَقُولُ لِأَرْضٍ لَسْتِ ساكِنَها
جادَ الرَّبِيعُ ثَرى مَغْناكِ[٣٢] والمَطَرُ

* * *

(٣٢) المغاني: المنازل التي بها أهلها.

الفصلُ الثالِث

في الـمُناجاة

قلتُ:

إلهي، إذا قَبَضَ بَناني عَن الابْتِهالِ سُوءُ عَمَلي بَسَطَهُ عَفْوُك، وإذا قَطَعَ لِساني عَن السُّؤالِ قُبْحُ زَلَلي وَصَلَهُ غَفْرُك[٣٣].

وَإِنْ ضاقَ عَنّي بابُ مَسالِكِ النَّجاح، اتَّسَعَ لي سَبيلُ سَيْبِكَ[٣٤] الـمَتّاح[٣٥].

وإن ادْلَهَمَّ أُفُقُ أَفْراحي، تَبَلَّجَ مِنْ مَطْلَعِ جُودِكَ قَمَرُ صَلاحِي.

وإِنْ اظْلَـمَتْ بَيْنَ يَدَيَّ وُجُوهُ الـمَطالِب، أَضاءَت لي مِنْ رِفْقِكَ بي أَنْوارُ الرَّغائِب.

فَكَمْ إِحْسانٍ مِنْكَ قابَلَهُ جَهْلي بِالكُفران، وذَنْبٍ صَدَرَ عَنّي قابَلَهُ حِلْـمُكَ بِالغُفران.

ومِنْ هُمُومٍ تَقَلَّصَتْ عَنّي بِها بُرُودُ الصَـبْرِ عَلَيها، فكان عَطْفُكَ القاصِدَ بِالتَّفْرِيحِ إِلَيها.

إِلهي، كَمْ ظَمِئْتُ بِمَفازاتِ القُنُوطِ فَرَوِيْتُ مِنْ سَماءِ نَعْمائِك، وَكَمْ

---

(٣٣) الغَفْر: الغُفران.

(٣٤) السَّيْب: العطاء.

(٣٥) المَتّاح: الطويل.

شَرِقْتُ بِدُمُوعِ حَسَراتي فَكَفْكَفْتَها[٣٦] بِمِنَنِ آلائِك.

إلهي، إذا سَرَيْتُ في فَلَواتِ الـمَـدْحِ لِجَلالِـكَ اتَّسَعَتْ في عَيْنِ بَصيرَتي جِهاتُها، وإذا سَرَبْتُ[٣٧] بِفِجاجِ التَّنَزُّهِ في كَمالِكَ انْبَسَطَتْ في مَخايِلِ فِكْري عَرَصاتُها.

فيا مَنْ حاطَ[٣٨] جَلالَهُ بِسُرادِقٍ عَجزت العُقُولُ عَنْ مَعْرِفَةِ كَيْفِيَّتِه، وحَرَسَ مَجْدَهُ الْقَديمَ عَنْ تَصَوُّرِ كُنْهِ ماهِيَّتِه.

ارْحَمْ مَنْ قَصـرت الأَلْبـابُ عَنْ وَصْفِ ضَعْفِ قَدْرَتِه، وعجزت الأذْهانُ عَن شَرْحِ وَهْنِ جُمْلَتِه[٣٩].

قد أَلْقى مُهْجَتَـهُ في يَدِ الاسْتِسْـلام، واعْـتَرَفَ بِلُزُومِ الْحُجَّةِ في الغَضَبِ والاصْطِلام.

إن اسْتَعانَ جَوارِحَهُ في الاعْتِذارِ عَن جَرائِمِهِ أَكْذَبَتْه، وإن أَشارَ إِلَيها في تَحْقيقِ عَظائِمِهِ صَدَقَتْه.

فيا مَنْ عَمَّ الخَلائِقَ فَيْضُ أَفْضالِه، أَوْلِ الصَّفْحَ مَخْذُولَ أَبْعاضِهِ وأَوْصالِه.

إلهي، ارْحَمْ مَنْ انْقَطَعَ رَجاؤُهُ إلّا مِنْك، وعَمِي نَظَرُ أَمَلِهِ إلّا عَنْك.

لا يَجِدُ نَسيمَ بَهْجَةٍ إلّا أَنْ يُحَرِّكَهُ عَطْفُ رِضْوانِك، ولا رَوْحَ سُرُورٍ[٤٠]

---

(٣٦) كفكف الدمع: مسحه.

(٣٧) السارِب: الذاهب على وجهه يسير في الأرض.

(٣٨) حاط الشيء: حماه ورعاه.

(٣٩) الجملة: جماعة الشيء.

(٤٠) الرَّوح: النسيم.

إلّا أَنْ يَرْجِعَ عَنْ حَرَمِ صَفْحِكَ بأَمانك.

إلهي، لَو نَطَقْتُ بِلِسانِ كُلِّ مَخْلُوقٍ ضارِعاً، لَمْ أَتَذَرَّعْ بِذَرِيعَةٍ أَسْتَوْجِبُ بها رَحْمَتَكَ.

وَلَو بَكَيْتُ بِعَيْنِ كُلِّ مَفْجُوعٍ جازِعاً، لَمْ أَتَوَسَّلْ بِوَسِيلَةٍ أَسْتَحِقُّ بِها مُسامَحَتَك.

ولَو سَلَبْتُ آماقي لَذَّةَ الرُّقادِ عُمري رَغْبَةً إلَيكَ، ما أَدَّيْتُ حَقَّ مَحَبَّتِك.

ولَو أَجْرَيْتُ دَمَ أَجْفاني في التَّوَجُّهِ إلَيك، ما نَهَضْتُ بِواجِبِ مُخالَصَتِك[٤١].

إلهي، إذا خَطَرَ بِقَلْبي مَعْنى الأُنْسِ بك، هامَ عَقْلي في التَّشَوُّقِ إلَيك.

وإذا حَضَرَ بِلُبّي حَلاوَةُ عَطْفِكَ عَلَيّ، أَلْقَيْتُ رُوحي بَيْنَ يَدَيك.

إلهي، كَيْفَ يَلَذُّ لِلْجُفُونِ في لَيالي الخَلَواتِ الاجْتِماعُ، ومَحَبَّتُكَ تَأْبى إلّا تَفْرِيقَها.

وكَيْفَ يَفْرَحُ بِكُنُوزِ الدُّنيا عارِفٌ، عارِفٌ أَنَّ إرادَتَكَ تَكْرَهُ إلّا تَمْزِيقَها.

إلهي، إذا صَرَفْتَني عَنْ بابِكَ، فَبِمَنْ أَسْتَرْفِد؟!

وإذا ضَلَلْتُ في مَهامِهِ تَعْويلي عَلَيكَ، فَبِمَنْ أَسْتَرْشِد؟!

وإذا حَجَبْتَني عَنْ مَوائِدِ كَرَمِكَ، فَبِمَنْ أَسْتَطْعِم؟!

وإذا قَطَعْتَ حَبْلَ أَمانِكَ لي، فَبِمَنْ أَسْتَعْصِم؟!

---

(٤١) المخالصة: المحبّة والمصافاة.

وإذا قابَلْتَني مُقاصّاً، فَأَيْنَ مَوْضِعُ تَجاوُزِكَ عَنّي؟!

وإذا لَمْ تُقِلْني العَثْرَةَ، فَمَنْ يَقْبَلُ الـمَعْذِرَةَ مِنّي؟!

وإذا طَرَدْتَني عَنْ مَناهِلِ [٤٢] غَوْثِكَ، فَمَنْ يُرْوِيني؟!

وإذا نَزَعْتَ ثَوْبَ رِعايَتِكَ عَنّي، فَمَنْ يُراعِيني؟!

إلهي، هَرَبْتُ إليك، وَحَقِيقٌ بِالْهَرَبِ إلَيك عَبْدٌ عَصاك.

وعَوَّلْتُ عَلَيكَ، وَخَلِيقٌ بالتَّعْوِيلِ عَلَيكَ مَنْ لا يَجِدُ إلّا إيّاك.

وحَقِّ جَلالِكَ ما عَصَيْتُكَ إقداماً مِنّي عَلَيك، فَتَحِيقُ بي أَخْطارُ الـمُقْدِمين.

ولا خالَفْتُكَ مُتَجَرِّئاً، فَتُحيطُ بي مُجازاةُ الـمُتَجَرِّئين.

ولكنْ عَصَيْتُك إمّا مُقِرّاً بالتَّقْصِير.

أوْ خائِفاً مِمّا أُقْدِمُ عَلَيهِ مِن الخَطَرِ الكَبِير.

أو راجِياً صَفْحاً يمْحُو خَطِيئَتي.

أو آمِلاً حِلْماً يَعْفُـو [٤٣] أَثَرَ زَلَّتي.

أو غافِلاً عَمّا يَجِبُ مِنْ حَقِّ السَّيِّدِ على العَبيد.

أو ساهِياً عَنْ فَضائحِ يَومِ الوَعِيد.

وعلى جَمِيعِ الأَحْوال فَلا عُذْرَ لي يَنْصُرُني فَأُشِيرُ إلَيه، أَوْ حِجاجاً يُسْعِدُني فَأَعْتَمِدُ عَلَيه.

إلهي، قَدْ يَحْرِصُ الـمَمْلُوكُ على خِدْمَةِ مَولاه، فَتَعْرِضُ الشَّهْوَةُ في

---

(٤٢) المنهل: المورد.

(٤٣) يعفو: يمحو.

طَرِيقه.

وينْتَحِب كَئِيباً، فَيَصُدُّهُ الهوى عَن تَوْفِيقه.

يا مَنْ خَضَعَتْ لَهُ الرِّقابُ العاتِيَة، وَوَجِلَتْ لِهَيْبَتِه القُلُوبُ القاسِيَة.

وتَضَعْضَعَ لِجَلالِهِ رُكْنُ الجَبّارين، وَتَتَعْتَعَ[٤٤] لِـمَلَكُوتِهِ سُلطانُ الـمُتَكَبِّرين.

فَأَصْبَحُوا بَعْدَ الاحْتِشادِ أَفْراداً، وَأَمْسوا في عَرَصاتِ قُبُورِهِمْ آحاداً.

تَسْحَبُ عَلَيهِم الرِّياحُ أَذْيالَ أَعاصِيرِها، وتَفْرِشُهُم الغِيَرُ[٤٥] خَشِنَ حَصِيرِها[٤٦].

تَعَطَّلَتْ مِنْهُمْ مَنازِلُ الاجْتِماع، وكان غَايَةُ مُلْكِهِمْ إلى انقِطاع.

وَتَفَرَّدْتَ - إلهي - بمَلْكِكَ الّذي لا يَزُول، وشَرَفِكَ الّذي لا يَحُول[٤٧].

يا مَنْ نَطَقَ بِبَهاءِ مَجْدِهِ لِسانُ الـمَلَكُوت، وأَقَرَّ بِسَناءِ فَخْرِهِ نُطْقُ الجَبَرُوت.

يا مَنْ سَكَنَ في قُلُوبِ أَوْلِيائِهِ فَأَعْرَضُوا عَمّا سِواه، وحَلَّ في خَواطِرِ أَصْفِيائِهِ فَلَمْ يَخْتارُوا إلّا إيّاه.

---

(٤٤) تتعتع: اضطرب.

(٤٥) الغِير: تغير الحال وانتقالها من الصلاح الى الفساد.

(٤٦) الحصير: البساط.

(٤٧) يحول: يتغير.

فَظَلُّوا في رَوْضاتِ الأُنْسِ بِهِ مَرِحين[٤٨]، وفي أَوْقاتِ الـمُحاوَرَةِ لَهُ فَرِحين.

وعِزَّتِكَ وجَلالِكَ، لَو سَحَبْتَني على شَوكِ القَتادِ أَبَدَ الآباد، ما اتَّهَمْتُ عَدْلَك.

ولَو حَرَمْتَني مِنْ بَينِ عَبيدِكَ جُودَك، ما اسْتَغْشَشْتُ فَضْلَك.

إلهي، أَنا عَبْدُكَ وَضَيْفُك، غَذَوْتَني بِنِعْمَتِكَ صَغِيراً ويافِعاً وكَبيرا.

وَجَبَرْتَ منّي بَعْدَ الوَهْنِ عَظْمًا واهِياً كَسيرا.

وأَسْبَغْتَ عَلَيَّ مِن فَضْلِكَ كَثِيرا.

ولِلضَّيْفِ وَإِنْ أساءَ ذِمامٌ[٤٩] عَلى مُضِيفِهِ ومُؤْوِيه، ومَنْ حَلَّ بِرَبْعِهِ ونادِيه.

إلهي، كذا يَنْطِقُ لِسانُ العَبْدِ العاصي في مُخاطَبَةِ مَولاه، ومُراجَعَةِ مَنْ ضَلَّ مَن يَدْعُو إلّا إيّاه.

ولَو قابَلَهُ سَيِّدُهُ بِسُوءِ الصَّنِيعِ الفَظِيعِ، لَأَفْلَجَ حُجَّتَهُ، وسَدَّ مَحَجَّتَه.

إلهي، أَنـا العَبْـدُ الّـذي أَحْسَنْتَ إلَيهِ قَبْلَ إيجادِهِ بِإيجادِ الآباء، وأَسْبَغْتَ عَلَيهِ فُنُونَ النَّعْماء.

فَأَنْفَقَ نِعَمَكَ في مَعاصِيكَ سَفَهًا، واعْتاضَ بِالعَدْلِ في الـمَقاصِدِ

---

(٤٨) في المخطوط: «أرِحين» ولم أجد مادة هذه اللفظة في كتب اللغة التي بين يدي، من تاج العروس حتى مختار الصحاح، وقد أثبت ما في المتن لملاءمة السياق.

والمرح: النشاط والسرور.

(٤٩) الذمام: الحرمة، والحق.

جَنفا، واسْتَبْدَلَ بالسَّلامَةِ مِن الخطَرِ تَلَفا.

فلَمْ يَمْنَعْكَ ذلِكَ مِنْ هَطْلِ سَماءِ رَحَماتِك، وتَرادُفِ تُحَفِ فُنُونِ هِباتِك.

إلهي، كَيْفَ صَدَقَ قَولُ مَن ادَّعى مَعْرِفَتَكَ وَهُوَ يَبْعُدُ عَنْك، وكَيْفَ وَضَحَ سَبيلُ مَنْ تَعاطى مَحَبَّتَكَ وَهُوَ يَهْرُبُ مِنك.

كيفَ يَهْرُبُ المُحِبُّ مِن الحَبيب، ويَبْعُدُ المَريضُ مِن الطَّبيب، ويَتَعَوَّضُ العاقِلُ المَنْزِلَ الضَّنْكَ[٥٠] مِن الرَّبْعِ الرَّحِيب؟

إلهي، إنْ كُنْتَ أَذِنْتَ لي في سُؤالِك، فالرَّجاءُ أَنْ تُظْهِرَ لي في أُفُقِ جُودِكَ إجابَةَ سُؤالي، وإن لَم تَكُنْ أَذِنْتَ لي في سُؤالِك فَعَلى مَنْ أَفِدُ بآمالي؟!

إلهي، إنْ يَئِسْتُ مِن رَحْمَتِكَ خَصَمَني كِتابُك، وإنْ رَجَوْتُ رَأْفَتَكَ أَظَلَّني مِن سَحابِ وَعْدِكَ ثَوابُك.

إلهي، حِكْمَتُكَ سَجَرَتْ[٥١] نارَ وَعِيدِك، ورَأْفَتُكَ[٥٢] سَخَّرَتْ أَسْبابَ الظَفَرِ بِمَزِيدِك.

ولَنْ يَضِيعَ بَيْنَ رَأْفَتِكَ وَحِكْمَتِكَ قَصْدِي، أو يَتَكَدَّرَ في حِماكَ لِذلِكَ وِرْدِي.

إلهي، إنْ غَفَلْتُ عَن خِطابِكَ، فَمِسْكِينٌ مَرْحُومٌ مَن غَرِقَ في بِحارِ غَفْلَتِه، وإنْ عَقَلْتُ القَصْدَ إلَيكَ، فَناجٍ مَنْ ظَفِرَ مِن سَيِّدِهِ بِحُجْزَتِه[٥٣].

---

(٥٠) الضنك: الضيّق.

(٥١) سجر: أوقد.

(٥٢) في المخطوط: «وحكمتك ورأفتك» ولا مكان للأولى هنا، كما تدل على ذلك السجعة التالية.

(٥٣) الحجزة: موضع شد الإزار، فاستعير الأخذ بالحجزة للاعتصام والالتجاء والتمسك بالشيء ←

إلهي، لَو لَم تُرِدْ بي خَيْراً لَمْ تَنْهَجْ[٥٤] لي مَسالِكَ دُعائِك، وَتَدُلَّني على اسْتِماحَةِ عَطائِك، وتَسْتُرَ قُبْحي عَنْ جَماعَةِ عَبيدِكَ وَإمائِك.

إلهي، مَن رَفَقَ بي في دارِ التَّأْديبِ فَلَمْ يَفْضَحْني بِجَرائِمي، أَهْلٌ أَنْ يَسْتُرَ عَلَيَّ في دارِ الجَزاءِ عَظائِمي.

إلهي، إنْ كُنْتَ لا تَقْطَعُ بِسَيفِ الحِرمانِ لِساناً في حالِ مُناجاتِه، ولا تَسُومُهُ هَواناً في تَضاعيفِ دَعَواتِه.

فَقَدْ جَعَلْتَ بِخاطِرِ الإِشارَةِ كُلَّ جُزْءٍ مني، لِساناً يُخاطِبُ عَنّي، وَيُباعِدُ الغَضَبَ مِنّي.

يا مَنْ شَحَنَ[٥٥] بُيوتَ أَموالِ الزَّاهِدينَ بِذَخائِرِ دارِ البَقاء، وسَجَنَ أَهْلَها عَنْها في دارِ الفَناء.

اجْعَلْنا مِمَّن لا يَغْفُلُ عَن الآجِلِ بِتَعَقُّلِ العاجِل، ويَعْتاضُ عَنْ سَعادَةِ الأَبَدِ لَذَّةَ الأَيّامِ القَلائِل.

يا مَنْ سَهِرَتْ في طَلَبِ رِضاهُ عُيونُ العارِفين، وشُهِرَتْ في مُحارَبَةِ أَعْدائِهِ سُيُوفُ المُكاشِفين.

وسالَتْ في الحَنينِ إلَيهِ أَحْداقُ المُحِبِّين، وسَأَلَتْ عَنْ نِهايَةِ أَسْرارِ مُرادِهِ خَواطِرُ المُوَحِّدين.

فَرِّغْني لِخِدْمَتِك، وأَقِرَّ عَيني بِرَحْمَتِك.

← والتعلق به والاستجارة به.

٥٤) نهج الطريق: بيّنه وأوضحه.

(٥٥) شحن: ملأ. ووجدته في المعاجم التي بين يديّ يتعدى إلى المفعول الثاني بالباء، ولذلك أضفت الباء إلى «ذخائر».

واجْعَلْني مِـمَّنْ جَرعَ عَنْ الدُّنيا كَأْسَ السُّلْوان، وجَزِعَ من هَوْلِ الإِقْدامِ على العِصيان.

إلهي، قادَني إلى بابِكَ ضَعْفُ الـمَسْؤُولِين، وأَوْفَدَني عَلى جَنابِكَ شُحُّ المُؤَمَّلِين.

فَقَصَدْتُكَ وجَمِيعُ أَجزائي مُحْتاجَةٌ إلَيك، مُعَوِّلَةٌ في كُلِّ مَقاصِدِها عَلَيك.

طالِبَةٌ صَوْبَ[٥٦] كَرَمِكَ الشامِل، قائلَةٌ وَقَدْ بَسَطَتْ لَدَيكَ ذَلِيلَ الأَنامِل:

يامَنْ إذا وَقَفَ الـوُفُـودُ بِبـابِـهِ
أَلْهـى شَرِيدَهُـمُ عَنِ الأَوْطـانِ
أَنـا عَبْـدُ نِعْمَتِـكَ الَّتي مَلأَتْ يَدِي
ورَبِـيبُ مَغْـنـاكَ الَّـذي أَغْنـاني

مناجاة أُخرى

قلتُ: مَنْ قَرَعَ بابَ الجُودِ وَلَجَه.

ومن اسْتَمْطَرَ سَحابَ الكَرَمِ هَتَنَ[٥٧] عَلَيه.

ومَنْ ضَرَعَ[٥٨] لِرَحِيمٍ أَعَزَّه.

---

(٥٦) الصوب: نزول المطر، وهو هنا استعارة للكرم الإلهي.

(٥٧) هتن المطر: قطر متابعاً.

(٥٨) ضرع: خضع وذلّ.

ومَن اسْتَقالَ مُحْسِناً أَقالَه.

ومَن قَصَدَ بكَسْرِه طَبيباً جَبَرَه.

ومَن اسْتَرْفَدَ غَنِيًّا رَفَدَه.

ومن اسْتَنْصَرَ عَزيزاً نَصَرَه.

ومَن عَلِقَ حَبْلَ وَفِيٍّ أَجارَه.

ومَن اسْتَغاثَ[٥٩] بِمَنِيعٍ دَفَعَ عَنْه.

ومَنْ اسْتَجارَ بقَوِيٍّ آمَنَه.

ومَنْ نَظَرَ رَؤُوفاً نَظَرَ إلَيه.

ومَن اسْتَتَرَ بحَلِيمٍ سَتَرَه.

ومَنْ اسْتَعْطَفَ لَطِيفاً عَطَفَ عَلَيه.

اللّهُمَّ، وَقَدْ قَرَعَتْ بابَ جُودِكَ يَدِي.

واسْتَمْطَرَ سَحابَ كَرَمِكَ لِساني.

وضَرَعَ لِرَحْمَتِكَ ذُلّي.

واسْتَقالَ عَقْدَ حَقِّكَ اعْترافي.

وقَصَدَ جَبْرَكَ كَسْري.

واسْتَرْفَدَ غِناكَ فَقْري.

واسْتَنْصَرَ عِزَّكَ وَهْني.

وعَلِقَ حَبْلَكَ رَجائِي.

---

(٥٩) في المخطوط: «استضاف» وهي مع عدم ملاءمتها للسياق، فقد عُدّيت بالباء، والاستضافة لا تتعدى بالباء. وقد أثبت الملائم للسياق.

واسْتَضافَ مَعْرُوفَكَ أَمَلي.

واسْتَجارَ بِقُوَّتِكَ ضَعْفي.

ونَظَرَ رَأْفَتَكَ بُخُوعي[٦٠].

واسْتَتَرَ بِحِلْمِكَ قَبيحي.

واسْتَعْطَفَ لُطْفَكَ خَوفي.

واسْتَغاثَ بِعَظَمَتِكَ كَرْبي.

فَتَلَقَّ خُضُوعي هذا بِرَحْمَتِك.

واعْتِرافي بِمُسامَحَتِك.

ودُعائي بِإجابَتِك.

فَقَدْ قَصَدْتُكَ عارِفاً أَنْ لا مَعْدِلَ لي عَنْك، ولا عِوَضَ لي مِنك.

يا مَنْ وَسِعَ الجَبّارِينَ حِلْمُهُ وعَدْلُه، وغَمَرَ الخَلائِقَ نُبْلُهُ وفَضْلُه.

كُنْ لي مُجيراً مِن خَطَرِ مُخالَفَتِك، وفَظِيعِ عُقُوبَتِك.

اللّهمّ، اجْعَلْني مِمَّنْ أَنِسَ بِلَيلِ الإِقْبالِ عَلَيك، واغْتَنَمَ نَهارَ القَصْدِ إِلَيك، وشَرُفَ بِالذُّلِ خاضِعاً بَيْنَ يَدَيك.

يامَنْ شَفى العُصاةَ مِن سَقَمِهِمْ بِدَواءِ مَغْفِرَتِه، وسَقى العِطاشَ مِن سَماءِ مَعْرُوفِهِ عَذْباً مِن رَحْمَتِه.

واسْتَنْقِذَ العُتاةَ بِتَوْفِيقِهِ مِنْ إِدْراكِ التَّلَفِ، واسْتَنْفَدَ صَفْحُهُ زَلَلَ المُكَبَّلِينَ بِأَصْفادِ[٦١] الجَنَفِ[٦٢].

---

(٦٠) البخوع: الإقرار والخضوع.

(٦١) الأصفاد: جمع صفد، وهو الغل.

(٦٢) الجنف: الميل عن الحق.

أَخِضْني المقـامَ الغَمْرَ إنْ كان غَرَّني
سَنـا خُلَّبٍ أو زَلَّـتِ الـقَـدَمـانِ
أَتَـتْرُكُني ضَنْـكَ الـمَعيشَـةِ جهـدَها
وَكَفّـاكَ مِن ماءِ النَّـدى تَكِفانِ[٦٣]

معنى

يَتْلُوهُ بيتان بليغان بالـمُناجاة

قلتُ:

إذا أَغْرَقَ العاقِلُ في قَوسِ الاعْتِبار[٦٤]، وجَرى في ميدانِ الإيرادِ والإصْدار.

ظَهَرَ لَهُ اسْتِفظاعُ الجَرائِمِ مِن العاصِين، واسْتِشْناعُ الـمَآثِمِ مِن الـمُسيئين.

اعْتِباراً بجَلالِ الـمُبارَزِ بالخِلاف، وما أَوْلاهُ مِن إحْسانٍ وَإسْعاف.

بِحَيثُ يَكُونُ الـمُذْنِبُ هُوَ الحاكِمَ بالعُقُوبَةِ على مُهْجَتِه، الـمُقَرِّرَ بَراهِينَ اصْطِلامِ حُشاشَتِه.

اللّهُمَّ إلّا أَنْ يَلْجَأَ إلى حَرَمِ الحِلْمِ بِكُلِّيَّتِه، ويَلُوذَ بِكَعْبَةِ العَفْوِ بِجُمْلَتِه.

قائِلاً بِلسانِ الذُّلِّ والاعْتِراف، والاسْتِكانَةِ والاسْتِعطاف:

---

(٦٣) في هامش المخطوط: «للعَتّابي، واسمه كلثوم بن عمرو».

(٦٤) اغرق النازع في القوس: استوفى مدها.

لا شَيءَ أَعْظَمُ مِن ذَنْبي سِوى أَمَلي
وحُسْنُ صَفْحِكَ عَن جُرْمي وعَن زَلَلي
فإنْ يَكُنْ ذا وذا في القَدْرِ قَد عَظُما
فَأَنْتَ أَعْظَمُ مِن ذَنْبي وَمِن أَمَلي

معنى

يتلوه بيتان لائقان

قلتُ:

من اخْتَصَّ بكَمالِ الذّات، وتَمَجَّدَ بمُقَدَّسِ الصِّفات.

كانَ لِعَبْدِهِ أَنْ يُخاطِبَهُ عِندَ تكرارِ الزَّلّات، وتَرادُفِ الخَطيّات.

في الخَلْوَةِ والجَلْوَةِ[٦٥]، فيقول:

سَيِّدي قَدْ عَثَرْتُ خُذْ بِيَدي
وَلا تَدَعْني وَلا تَقُلْ تَعِسا
واعْطِفْ فَإنْ عُدْتُ فاعْفُ ثانِيةً
فَقَد يُداوِي الطَّبِيبُ مَنْ نُكِسا[٦٦]

* * *

(٦٥) الجلوة: الظهور والبروز.

(٦٦) نُكِس المريض: عاد إليه مرضه بعد شفاء.

الفصل الرابع:
في الـمَواعِظ
معنى

قلتُ:

إذا خالَطَ سَوادَ الشَّعرِ وَضَحُ الـمَشِيب، نَزَعَ بَنانُ الفَجِيعَةِ جِلبابَ الثَّوبِ القَشِيب.

وآنَ للرّاقِدِ الهُبوبُ مِن كَراه، وللـمُسْتَيْقِظِ الجِدُّ في إصلاحِ أُخْراه.

ناكِبَين عَنْ طَرِيقِ الغُرُور، بما وُهِباهُ مِن صحَّةِ جَسَدٍ وَبُلُوغ أَرَب.

إذْ ذلِكَ خِداعٌ يَتَفَرَّى[٦٧] جِلْبابُهُ عَن نَدَم، وتَضْحَكُ نَواجِذُهُ عَن كَآبَة.

إذا لاحَ الـمَشِيبُ عَلى قَذالٍ[٦٨]
فَقَد ناداكَ عَنْ كَثَبٍ رَحِيلُ[٦٩]

وإنَّما مَثَلُ الإنسانِ في ذلِكَ كَمَثَلِ السَّنابِلِ في أَيّامِ الرَّبِيع.

حَيْثُ يُباكِرُها النَّدى، وتَهُبُّ عَلَيها نَسِيمُ السَّحَر.

فَتَمِيسُ عِنْدَ ذلِكَ شَبِيهَاً بِحالِ جَذْلان، أَمِنَ حَوادِثَ الدَّهْرِ وطَوارِقَ الزَّمَن.

---

(٦٧) تَفَرّى: تشقّق.

(٦٨) القذال: مؤخر الرأس.

(٦٩) في هامش المخطوط: «لمصنفه أدام الله أيامه».

حتى إذا بَرَزَت الشَّمْسُ بتوَهُّجها، وأَشْرَقَتْ مُلْقِيَةً شعاعَ تَأَجُّجِها.

ذَهَبَتْ تلكَ النَّضارَة، وَوَلَّتْ هاتِيكَ البَهْجَةُ الـمُسْتَعارة.

ووَضَحَ أَنَّ اسْتِهزاءَ القَدَرِ السَّرِيع، كان كامِناً في غُضُونِ[٧٠] ذلِكَ الزَّهْوِ[٧١] مُقارِناً لِذلِكَ الأَشَر[٧٢].

إذا امْتَحَنَ الـدُّنيا لَبيبٌ تَكَشَّفَتْ
لَهُ عَنْ عَدُوٍّ في ثِيابِ صَدِيق

معنىً آخَر

قلتُ:

مِن الغُرُورِ الطُّمَأْنِينَةُ إلى بُلُوغِ الآثار، ومُواتاةِ الأَقْدار.

إذ الآفاتُ قَدْ تَكُونُ كامِنَةً في مَطاوِيها، مُعَلَّلَةً بِكَمالِ بَهْجَتِها وَحُسْنِ مَعانِيها.

أَحْسَنْتَ ظَنَّـكَ بِالأَيّامِ إذْ حَسُنَتْ
وَلَمْ تَخَفْ سُوءَ ما يَأْتي بِهِ الـقَـدَرُ
وسَـالَمْتَـكَ اللّيالي فاغْـتَرَرْتَ بها
وَعِنْـدَ صَفْـوِ اللَّيالي يَحْدُثُ الكَـدَرُ

---

(٧٠) في المخطوط: «غصون» وتحت الصاد صاد صغيرة مؤكدة لإهمالها.

(٧١) الزهو: الخيلاء.

(٧٢) الأشر: البطر.

معنىً آخَر

قلتُ:

مَن أَرْسَلَ طَرْفَهُ مَشْعُوفاً بِزَهَراتِ دارِ الفَناء هَزِئَتْ مِنْهُ وَعَيَّبَتْهُ، وسَخِرَتْ مِنْهُ وما أَعْتَبَتْهُ.

لِمُكاشَفَتِها مِنْهُ بِسُوءِ المَقاصِد، وبَيْعِ العَدَدِ الجَمِّ بِالواحِد، وتَعَرُّضِهِ لِلأَخْطارِ المُتْلِفَةِ في المَصادِرِ والمَوارِد.

نَظَرْتُ إِلَيها فاسْتَحَلَّتْ بِنَظْرَةٍ
دَمِي ودَمِي غالٍ فَأَرْخَصَهُ الحُبُّ
وغالَيْتُ في حُبّي لَها فَرَأَتْ دَمِي
رَخِيصاً فَمِن هذَينِ خالَطَها العُجْبُ

معنى

قلتُ:

العالِمُ مَحْجُوجٌ بِمَعْرِفَتِه، والشاكُّ مَحْجُوجٌ بِمُخالَفَتِه.

وكَيْف تَنامُ العَيْنُ وَهْيَ قَرِيرَةٌ
وَلَمْ تَدْرِ في أَيِّ المَحَلَّينِ تَنْزِلُ

معنى

قلتُ ـ وقَدْ سُئِلْتُ عَن النَّظَرِ إلى ما لا يَحِلُّ ـ: إنَّهُ لا يَلِيقُ بِالأَدَبِ

والدِّين والـمَحَبَّة.

وَجْهُ الأَوّلِ: أَنَّه لا يَلِيقُ بِالعَبِيد إذا دَعاهُمْ سَيِّدُهُمْ إلى طَعَامِه، ومَنَحَهُمْ سَيْبَ إكْرامِه.

أن يَكُونوا مَشْغُولِيَن بِالتَّطَلُّعِ إلى إمائِهِ وَجَوارِيه، وما حَظَرَ عَلَيهِم النَّظَرَ إلى مَعانِيه.

وَجْهُ الثّاني: أَنَّهُ تَعالى أَمَرَ بالعَفافِ، وغَضِّ الأَطْراف.

وَجْـهُ الثـالِث: أَنَّ الـمَحَبَّـةَ إذا صَدَقَتْ مَلَكَتْ جُمْلَةَ الـمُحِبِّ وحَقِيقَتَهُ، وقَبَّحَتْ لَهُ الإِشارَةَ إلى غَيرِ مَن ادَّعى مَحَبَّتَه.

وكَـيَف تَرى لَيلى بِعَـينٍ تَرى بِها
سِواهـا ومـا طَهَّـرْتَهـا بِالـمَـدامِـعِ
وتَلْتَـذُّ مِنهـا بِالحَـدِيثِ وقَـد جَرى
حَدِيثُ سِواها في خُرُوقِ الـمَسامِعِ

* * *

الفصل الخامس

في أحوال الإخوان

قلتُ:

العَجَبُ مِـمَّن يصيخُ إلى عَذْلِ عاذِل، فِيمَن لَمْ يَسْمَع فيه قَطُّ قَولَ قائِل.

وشـى إليكَ بِيَ الــواشِي فَلَمْ تَرَني
أَهْــلًا لِتَكْـذِيبِ ما أَلقى من الخَـبَرِ
ولـو وَشى بِكَ عِنْـدِي فيأَلَذِّ كَرى
طَيفُ الخَيالِ لَبِعْتُ النَّومَ بِالسَّهَرِ[٧٣]

قلتُ:

مَن أَنْفَقَ رُوحَ عُمُرِهِ في مُعاشَرَةِ الأَوِدّاء[٧٤] لَزمتْ حُجَّتُهُ عَلَيهِم، وقصدت دالَّتُهُ[٧٥] إلَيهِم.

لِضِيقِ الوَقْتِ عَن اسْتِدراكِ ما فاتَ مِن العُمْر مَعَ مَنْ عَداهُم، وَقِصَرِهِ عَن تَحْصِيلِ سِواهُم.

أَحْبــابَنـا أَنْفَقْتُ عُمـري عِنْـدَكُم
فَمَـتى أُعَــوِّضُ بَعْضَ ما أَنْفَقْتُــهُ

---

(٧٣) في هامش المخطوط: «للرضي رضي الله تعالى عنه» ولم أجده في ديوانه المطبوع في بيروت ـ دار صادر.

(٧٤) الأَوِدّاء: جمع ودود، وهو المحبوب.

(٧٥) الدالّة: الحرمة والوجاهة للصديق على صديقه.

أَأَرُومُ بَعْـدَكُـمُ صَدِيقـاً صادِقَـاً
هَيْهـاتَ ضاقَ الـعُمْـرُ عَمّا رُمْتُـهُ

معنى

قلتُ:

نُصْرَةُ مَن أَخْلَصَ في وَلائِه، وَحُمِدَ في إخائِه.

نَطَقَ بها لِسانُ العَقْلِ والشَّرْع.

فَإنْ قَصَّرَ الـمَحْبُوبُ عَن ذلك، تَأَكَّدَ عَليه أَن لا يكونَ في زُمْرَةِ أَرْبابِ العَداوَةِ، الرّاشِقِينَ بِسِهامِ الأَذى.

تَخِذْتُكُمُ دِرْعـاً حَصِينَـاً لِتَـدْفَعُـوا
نِبـالَ العِـدى عَنّي فَكُنْتُمْ نِصـالَها
وقَـدْ كُنْتُ أَرْجُـو مِنْكُمُ خَيْرَ ناصِـرٍ
على حِين خِذلانِ الـيَمِـينِ شِمالَهـا
فَإنْ أَنْـتُـمُ لَمْ تَعْـرِفُـوا لِـمَـوَدَّتي
ذِمـامـاً فَكُـونُـوا لا عَليهـا ولا لَها
تِفُـوا مَوْقِفَ الـمَعْذُورِ عَنّي بِمَعْزِلٍ
وَخَلُّوا نِبـالي وَالعِـدى وَنِبـالَهـا

معنى

قلتُ:

بمقامِ تَقْصِيرٍ من اسْتراحَ في مَحَلٍّ يَتْعَبُ فِيهِ صَدِيقُه، ويَشْقَى فِيهِ

شَقِيقُه.

وتَــرْكِي مُواســاةَ الأَخِـلّاءِ بِالّـذي
تَنــالُ يَدي ظُلْمًا لَهُمْ وَعُــقُــوقُ
وَإنّي لَأَسْــتَـحْـيي مِن الله أَنْ أُرى
مَكــانَ اتِّســاعٍ والصّـدِيقُ مُضِيقُ

معنى

قلتُ:

مَن أَصْغى إلى اسْتِماعِ القَدْحِ في مُعاشِريه أو لا مُعاشِريه، كان بِذلِكَ حاثًّا على فُنُونِ نَمِيمَةٍ وتَمْويه.

عَدِمْتُ مُنايَ مِنْكِ إنْ كانَ ذا الّذي
تَقَــوَّلَـهُ الـواشُـونَ عَنّي كَما قالُـوا
ولــكِــنَّهُــمْ لَمّا رَأوكِ غَرِيَّةً[٧٦]
بِهَجْـرِي تَواصَـوا بِالنَّمِيمَةِ واحْتالُوا
فَقَــدْ عُدْتِ أُذْنَـاً لِلوُشـاةِ سَمِيعَـةً
يَنالُونَ مِنْ عِرْضي وَلَو شِئْتِ ما نالُوا

* * *

(٧٦) الغَرِيّ: المُولَع.

معنى

قلتُ:

العَتْبُ قَدْ يَهبّ به نَسيمُ الحِكْمَةِ، وقَدْ لا يَهبّ.

وَجْـهُ الأَوّل: أنَّ مِن الـمُعاتَبين مَنْ غَفَتْ عَنْهُ عُيُونُ الإِنْصاف، وعَفَتْ[٧٧] لَدَيه رُسُومُ الاعْتِراف.

فَيَتَعَيَّنُ عَليهِ عِند ذلِكَ كَحْلُ العُيونِ الهاجِدَةِ بِميلِ العَتْبِ، إيثارَاً لإِيقاظِها مِنْ رَقْدَتِها، وإنباهِها مِن سِنَتِها أَوْ هَجْعَتِها.

فالـمَيْنُ[٧٨] من عارفٍ أولا عَارف، وَخِيمُ الجِهاتِ وَبِيءُ العَرَصات.

وطالَما ظَنَّ بَعْض مَن يُصْحَبُ أَكْثَرَ العُمْرِ أَنَّهُ في غايَةِ مُحْسِن، وهُوَ في غايَةِ مُسِيء.

إذْ الـمُلاطَفَةُ في الصُحْبَةِ الظالِـمَةِ بِمَنْزِلَةِ خِداعِ السَّرابِ، الضّارّ بِتَقْدِيرِ تَرَكِ الاحْتِياطِ في الرِّوى[٧٩] مِن الماءِ.

وذلكَ مَظِنَّةُ العَطَبِ عِنْدَ الحاجَةِ إلَيه، وخُلُوِّ أَمْكِنَةِ الطَّلَبِ عَنْه.

فالعَـدُوُّ الـمُبارِزُ على هذا قَدْ يَكُونُ إلى النَّفْعِ أَقْرَب مِنْه، لأَنَّهُ مُوقِظٌ للاسْتِعدادِ بِفُنُونِ الزّاد.

---

(٧٧) عفت: امَّحت واندثرت.

(٧٨) في المخطوط: «فالعين» ولا مكان لها في هذا النص . وقد استحلت في عيني بادي بدء كلمة «فالعتب» ولكن السياق أباها أيضاً، فأثبت ما وافق السياق.

والمين: الكذب.

(٧٩) الرّوى: الكفاية من الماء.

بِخِلافِ مَنْ أَوْرَدَ ثُمَّ خَذَلَ عِنْدَ مَزالِقِ الإِصْدار، ومَداحِضِ[٨٠] الأَخْطار.

والصَّدِيقُ وإنْ كانَ لَهُ وَسِيلَةٌ إلى مُسامَحَتِه، فإنَّ عَلَيهِ دَوْلَةً[٨١] في جَوازِ مُخافَتَتِه[٨٢].

أَنْــتَ عَيْني وَلَــيْسَ مِنْ حَقِّ عَيْني
غَضُّ أَجْــفَــانِها على الأَقْــذاءِ

وأَمّا بَيانُ الوَجْهِ الثاني: فهو العَتْبُ الّذي لا يَقْتَرِنُ بِمَصْلَحَةٍ، ولا يُناطُ بِرَأْيٍ سَدِيد.

ولذلك شَرْحٌ، تَتَشَعَّبُ غُصُونُه، وتَتَفَرَّعُ فُنُونُه.

معنى

قلتُ: مَن انْطَوى على تَجْرِيمِ مُعاشِرِيه، وتَظْلِيمِ مُخالِطِيه.

لائِقٌ بِهِ العِتابُ، الّذي فِيهِ غَسْلٌ لِدَرَنِ الخَواطِر، وتَطْهِيرُ الظَّمائِر.

مِنْ هَجْرٍ يَتَوَلَّدُ عَنْ تَرْكِ العِتاب، ومُناظَرَةِ الأَحباب.

تَرْكُ الــعِــتــابِ إذا اسْــتَــحَــقَّ أَخٌ
مِنْــكَ الــعِــتــابَ ذَرِيعَــةُ الهَجْــرِ

---

(٨٠) مداحض : جمع مَدحَض ، وهو المكان الزلق.

(٨١) كذا، والدولة الانتقال من حال إلى حال.

(٨٢) المخافتة: حفض الصوت والتشاور سراً.

معنى

قلتُ لِشَخْصٍ يَقُولُ لِآخَرَ مُعاتِباً على جَفاءٍ: قُلْ لَهُ: إنْ كُنْتَ فيما أَنْتَ فِيه سالِكاً سَبِيلَ أَمْرِ اللهِ فَالحُجَّةُ لَكَ، وإنْ كُنْتَ سالِكاً سَبِيلَ هَوىً فَالحُجَّةُ عَلَيك.

وقُلْ لَهُ: لَو كُنْتُ في مُراجَعَتِكَ راغِباً في دُنيا أَحْتَلِبُ دِرَّتَها، وأَجْتَلِبُ ثَمَرَتَها، لكانَت الحُجَّةُ عَلَينا إذْ ذاك.

أَمّا والغَرَضُ سُلُوكُ سَبيلِ وَفاءٍ قَرَّرَتْ حُسْنَهُ مَكارِمُ الأَخْلاق، ونَبَّهَتْ عَلَيهِ مَراسِمُ الشَّرِيعَة، فالحُجَّةُ لَنا في فِعْلِها وعَلَينا في تَرْكِها.

﴿إنْ أُرِيدُ إلّا الإِصلاحَ ما اسْتَطَعْتُ، وما تَوْفِيقي إلّا بِاللهِ عَلَيهِ تَوَكَّلْتُ وإليهِ أُنِيب﴾[٨٣].

عَلَيَّ نَحْتُ الـمَعـانِي مِنْ مَعـادِنِها
وما عَلَيَّ لَهُمْ أَنْ تُقْبَـلَ الـعِـبَرُ

معنى

قلتُ:

يَنْبَغي لِلعاقِلِ تَصَوُّرُ شَرف عُمرِهِ مُطَّرِداً[٨٤]، عارِفاً بِأَنَّهُ العَرَضُ الّذي لا يُباعُ بِالجَواهِر، وإنْ جَلَّتْ أَقْدارُها وَتَكَثَّرَتْ أَنْواعُها.

---

(٨٣) سورة هود، الآية: ٨٨.

(٨٤) اطَّرَد الشيء: تبع بعضه بعضاً وجرى.

وأَنَّ ثَمَنَهُ لَيس إلاّ السَّعادَة الأَبَدِيَّة والحياة السّرْمَدِيّة.

فَإنْ قَصَّرَ عَنْ ذلكَ، فَلا يُقَصِّرَنَّ عَنْ تَصَوُّرِ شَرَفِهِ في نَفْسِ الأَمْر.

لِئَلاّ يَعْرِضَهُ لِلبَيْعِ بِثَمَنٍ وَكْسٍ [٨٥] وَعِوَضٍ واهٍ، فَإنَّهُ العَرَضُ الّذي جَلَّ عَنْ سَوْمٍ وتَرَفَّعَ عَنْ تَثْمِين.

فإن صَحِبْتَ بِهِ شَخْصاً فانْظُرْ كَيفَ نَظَرُهُ إلى ما تُنْفِقُ مِنْهُ في صُحْبَتِه.

فَإنْ كانَ نَظَرَ غافِلٍ عَنْ شَرَفِ ما سَوَّغَتْهُ مِنْ أَعْوامِك، ومَزَّقْتَ في مُواصَلتِهِ مِنْ أَيّامِك، وَهُوَ غَيرُ فارِقٍ بَيْنَ قُفُولِكَ[٨٦] وَمُقامِك.

فَأَوْلِهِ بالإِعْراضِ الإِعْراضَ ، وامْنَحْهُ الانْقِباض.

إذا أَنْتَ لَمْ تُنْصِفْ أَخــاكَ وَجَـدْتَـهُ
على طَرَفِ الهِــجْــرانِ إنْ كانَ يَعْــقِــلُ
ويَرْكَبُ حَدَّ السَّيفِ مِنْ أَنْ تَضِيْمَــهُ
إذا لَمْ يَكُنْ عَنْ شَفْرَةِ السَيفِ مَزْحَلُ[٨٧]

وَإنْ كان غَيرَ جاهِلٍ بما تَبْذُلُهُ في صُحْبَتِه، مُتَأَثِّراً مِنْكَ بِمقاطَعَتِهِ[٨٨].

---

(٨٥) الوكس: الزهيد القليل.

(٨٦) القفول: الرجوع من السفر، والمقصود هنا القفول من سفر الدنيا إلى المنزل الحقيقي للإنسان وهو الآخرة.

(٨٧) زحل عن مكانه: تنحّى وتباعد.

(٨٨) في المخطوط: «بمفاظعتك» والسياق يأباها.

إلاّ أَنَّهُ لا يَعْمَلُ بِحَسبِ ما يَجبُ لَكَ عَلَيه.

فَأَوْلِهِ الهِجرانَ، واعْتَضْ مِن الوَعِيدِ في مُقاطَعَتِهِ العِيان.

جاذّاً حَبْلَ وَصْلِهِ بِسَيفٍ قاطِعٍ لا تَنْبُو شَفَراتُه، مُصْلِياً[٨٩] لَهُ بِصَدٍّ لا تَخْمُدُ جَمراتُه.

إذا أَنْتَ لَمْ تَعْــرِفْ لِنَفْسِكَ حَقَّهـا
هَوانَـاً بها كانَتْ عَلى النّاسِ أَهْوَنا

وَإيّاكَ والرِّضى بِدَنَسِ الذُّلِّ، والنَّدَمَ عَلى فَوائِتِ ثَمَراتِ شَجَرِ الوَهْن.

وَإنّي إذا ما فاتَـني الأَمْــرُ لَمْ أَبِـتْ
أُقَــلِّبُ كَفِّــيْ إثْــرَهُ مُتَــنَــدِّمــا
وَلَـكِـنَّــهُ إنْ جاءَ عَفْــوَاً قَبِـلْتُــهُ
وَإنْ فاتَ لَمْ أَتْـبِـعْــهُ هَلَّا وَلَـيْتَــما
وَأَقْبِضُ خَطْوي عَنْ حُظُوظٍ كَثِيرَةٍ
إذا لَمْ أَنَلْهـا وافِـرَ العِـرْضِ مُكْرَما
وأُكْـرِمُ نَفْسي أَنْ أُضـاحِـكَ عابِسَاً
وأَنْ أَتَــلَقّى بِالَمــدِيحِ مُذَمَّمــا[٩٠]
ومـاذا عَسى الدُّنيا وَإنْ جَلَّ قَدْرُها
ينــال بها مَنْ صَيَّرَ العِــرْضَ سُلَّما

---

(٨٩) الصلي: الشيّ بالنار.

(٩٠) المُذَمَّم: المذموم جداً.

وَإنْ قُيِّدَ هذا الإطْلاقُ بنُصُوصٍ شَرْعِيَّةٍ - في مَجْمُوعِ ما ذَكَرْتُ - أَوْ تَدبِيراتٍ عَقْلِيَّةٍ ، فَالحُكْمُ لِلْمُقَيَّدِ إذاً.

* * *

الفصلُ السادس:
في الصَّبْر والشَّجاعَة

معنى

قلتُ:

يَجبُ على أَرْباب العَزَماتِ مُقابَلَةُ حَوادِثِ الدَّهْرِ، بِصَبْرٍ يَقِلُّ مَعَهُ مَضَضُها[٩١]، ويَصْغرُ عِنْدَهُ أَلَمُها.

تَنَكَّرَ لي دَهْرِي وَلَمْ يَدْرِ أَنَّني
أَعِزُّ وأَحْداثُ الزَّمانِ تَهُونُ
وباتَ يُرِيني الخَطْبَ كَيفَ اعتِداؤُهُ
وَبِتُّ أُرِيهِ الصَّبرَ كَيْفَ يَكُونُ

معنى

قلتُ:

الصَبْرُ على حَوادِثِ الدَّهْرِ شِيمَةُ نُبَلاءِ الرِّجالِ، وخَلائِقُ الأَماثِل.

إِذْ في إِظْهارِ الكَآبَةِ التي لا تُجْدِي كَسْرُ الصَّدِيقِ وَجَبْرُ العَدُوّ.

مع خُلُوِّ ذلكَ مِن ثَمَرَةٍ يَرْغَبُ العَقْلُ في تَحْصِيلِها بِالشَّكْوى، وَإِحْرازِها بِالقَلَق.

ولَو لَمْ يُكُنْ لِلشّاكِي عَدُوٌّ يَبْتَهِجُ بِأَذاهُ، أَو صَدِيقٌ يَتَضَرَّرُ بِضَرَرِهِ،

---

(٩١) المضض: الوجع والألم.

لَكانَ إلْغاءُ الجَزَعِ أيضاً مَذْهَباً صَحِيحاً وطَرِيقاً واضِحاً.

وَلَسْتُ كَمَن أَخْنى[٩٢] عَلَيهِ زَمانُهُ
فَظَلَّ على أَحْداثِهِ يَتَعَتَّبُ
تَلَذُّ لَهُ الشَّكْوى وَإِنْ لَمْ يَجِدْ بِها
صَلاحاً كَما يَلْتَذُّ بِالحَكِّ أَجْرَبُ

معنى

أَقُولُ:

إنَّ مَن مارَسَ حَوادِثَ الدَّهْرِ، وعالَجَ خُطُوبَ الأَيّامِ، أَلِفَ فُنُونَ فَوادِحِها[٩٣]، وهانَ عَلَيهِ وُرُودُ جَوائِحِها[٩٤]

وإنْ ظُنَّ مَغْمُوماً قَدْ يَكُونُ مُبْتَهِجاً بِما مُنِحَ مِنْ مَزالٍّ[٩٥] كَتائِبِ المَكارِه، وَٱسْتِحْلاءِ شَرْيِ[٩٦] مُتَجَدِّداتِ النَّوازِل.

تَعَوَّدْتُ مَسَّ الضُّرِّ حَتّى أَلِفْتُهُ
وَأَسْلَمَنِي حُسْنُ العَزاءِ إلى الصَّبْرِ
وَوَطَّنَ نَفْسِي لِلْأذى الأُنْسُ بِالأَذى
وَكُنْتُ بِهِ حِيناً يَضِيقُ بِهِ صَدْرِي

---

(٩٢) أخنى عليه الدهر: أهلكه.

(٩٣) الفوادح: جمع فادحة، وهي الأمر الباهض.

(٩٤) الجوائح: جمع جائحة، وهي الشدة.

(٩٥) لعلها من أُزِلَّت إليه، أي أعطيت له.

(٩٦) الشري: الحنظل، واحدته شَرْيَة.

إذا أنـا لَمْ أقْبَـلْ مِن الدَّهْرِ كلّ ما
تَكَـرَّهْتُ مِنْهُ طالَ عَتْبِي عَلى الدَّهْرِ
وَصَـيَّرَني يَأْسي مِن النّـاسِ راجِيَاً
لِكَثْرَةِ عَفْوِ اللهِ مِنْ حَيْثُ لا أَدْري(٩٧)

---

(٩٧) في هامش المخطوط: «أنشد هذه حاضر مولى يحيى بن عبد الله بن حسن، ولها قصة».

قلت: والقصة، كما في مقاتل الطالبيين ٤٢٥ ـ ٤٢٧، هي:

... حدثنا محمد بن أبي العتاهية قال: حدثني أبي:

لما امتنعت من قول الشعر وتركته أمر المهدي بحبسي في سجن الجرائم، فأخرجت من بين يديه إلى الحبس ، فلما أدخلته دهشت وذهل عقلي، ورأيت منظراً هالني، فرميت بطرفي أطلب موضعاً آوي إليه أو رجلاً آنس بمجالسته، فإذا أنا بكهل حسن السمت، نظيف الثوب، يبين عليه سيماء الخير، فقصدته فجلست إليه من غير أن أسلم عليه أو أسأله عن شيء من أمره؛ لما انا فيه من الجزع والحيرة، فمكثت كذلك ملياً وأنا مطرق مفكر في حالي، فأنشد هذا الرجل هذين البيتين. فقال:

تعودت مس الضر حتى ألفته وأسلمني حسن العزاء إلى الصبرِ
وصيرني يأسي من الناس واثقاً بحسن صنيع الله من حيث لا أدري

فاستحسنت البيتين وتبركت بهما وثاب إليّ عقلي، فأقبلت على الرجل فقلت له : تفضل ـ أعزك الله ـ بإعادة هذين البيتين.

فقال لي: ويحك يا إسماعيل ـ ولم يكنني ـ ما أسوأ أدبك، وأقلّ عقلك ومروءتك، دخلت إليّ ولم تسلم عليّ بتسليم المسلم على المسلم، ولا توجعت لي توجع المبتلى للمبتلى، ولا سألتني مسألة الوارد على المقيم، حتى إذا سمعت مني بيتين من الشعر الذي لم يجعل الله فيك خيراً ولا أدباً، ولا جعل لك معاشاً غيره، لم تتذكر ما سلف منك فتتلافاه، ولا اعتذرت مما قدمته وفرّطت فيه من الحق حتى استنشدتني مبتدياً، كأن بيننا أنساً قديمًا، ومعرفة شافية، وصحبة تبسط المنقبض !

فقلت له: اعذرني متفضلاً؛ فإن دون ما أنا فيه يدهش .

معنى

قلتُ عِنْد قِصَّةٍ تُرْوى مِنْ طَرِيقِ البُخارِيِّ عَن ابنِ عُمَرَ أَنَّهُ وُجِدَ

قال: وفي أي شيء أنت، إنما تركت قول الشعر الذي كان جاهك عندهم وسبيلك إليهم، فحبسوك حتى تقوله، وأنت لا بد من أن تقوله فتطلق، وأنا يدعى بي الساعة فأُطالب بإحضار عيسى بن زيد ابن رسول الله صلى الله عليه وآله، فإن دللت عليه فقتل لقيت الله بدمه، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله خصمي فيه، وإلّا قتلت، فأنا أولى بالحيرة منك، وأنت ترى احتسابي وصبري.

فقلت: يكفيك الله، وأطرقت خجلاً منه.

فقال لي: لا أجمع عليك التوبيخ والمنع، اسمع البيتين واحفظهما. فأعادهما عليّ مراراً حتى حفظتهما. ثم دعي به وبي، فلما قمنا قلت: من أنت أعزك الله؟

قال: أنا حاضر صاحب عيسى بن زيد.

فأدخلنا على المهدي، فلما وقف بين يديه قال له: أين عيسى بن زيد؟.

قال: ما يدريني أين عيسى ، طلبتَه وأخفتَه فهرب منك في البلاد ، وأخذتني فحبستني، فمن أين أقف على موضع هارب منك وأنا محبوس؟!

فقال له: فأين كان متوارياً؟ ومتى آخر عهدك به؟ وعند من لقيته؟

فقال: ما لقيته منذ توارى، ولا أعرف له خبراً.

قال: والله لتدلني عليه، أو لأضربن عنقك الساعة. قال: اصنع ما بدا لك، أنا أدلك على ابن رسول الله صلى الله عليه وآله لتقتله، فألقى الله ورسوله وهما يطالباني بدمه! والله لو كان بين ثوبي وجلدي ما كشفت عنه.

قال: اضربوا عنقه. فقدم فضرب عنقه.

ثم دعاني فقال: أتقول الشعر أو ألحقك به.

فقلت: بل أقول الشعر.

فقال: أطلقوه.

جَعْفَرُ بنُ أَبي طالِبٍ عَلَيهِ السَّلامُ في القَتْلى، وفي جَسَدِهِ بِضْعٌ وَتِسْعُونَ طَعْنَةً وَرَمْيَةً، ليسَ مِنها في دُبُرِهِ شَيءٌ (٩٨):

إنَّ عِلَّةَ ذلكَ كَوْنُهُ عَلَيهِ السَّلامُ واجَهَ جِهَةَ الكُفّار، واشْتاقَ إلى دارِ القَرار.

فَأَثْبَتَ في مُسْتَنقَعِ الـمَـوْتِ رِجْلَهُ
وقـالَ لَها: مِنْ تَحْتِ أَخْمَصِـكِ الحَشْرُ
تَرَدّى ثِيابَ الـمَـوْتِ حُمْرَاً فَما أَتى
لَها اللَّيْلُ إلّا وَهْيَ مِنْ سُنْدُسٍ خُضْرُ

معنى

قلت في سِياقِ كَلامٍ بَسيطٍ مُتَعَلِّقٍ بِمَـدْحِ شَجاعَةِ مَولانا أَمير الـمُؤمِنين صَلَواتُ اللهِ عَلَيهِ وإِقْدامِه، وحُسْنِ نَهضَاتِهِ في حِراسته الإِسْلامَ وقِيامِه:

فَمُبارِزُوهُ تَحْتَ بُطُونِ الكَواكِبِ مُصَرَّعُون، وَمُنابِذُوه لِبَواتِرِهِ ضارِعُون.

يَحْطِمُ مِنْهُمْ أَجْسادَاً، وَيُوسِعُهُمْ في الـمَعارِكِ جِلادَاً، وَيَصْطَلِـمُهُمْ في فَيالِقِهِمْ إِصْدارَاً وَإِيراداً.

---

(٩٨) البخاري ٥:١٨٢ باب غزوة مؤتة ح١.

فَكَأَنَّهُمْ بُغاثٌ[٩٩] لاقَتْ صَقْراً قَرِماً[١٠٠] كاسِراً، أَوْ غَنَمٌ واجَهَتْ لَيْثاً خادِراً.

أَوْ رَمادٌ اشْتَدَّتْ بِهِ رِيحٌ عادِيَّةٌ[١٠١]، وَسَمُومٌ[١٠٢] نارِيَّةٌ.

لم تَقْصِدْ غَمَراتُهُ الشَّرِيفَةُ جَيْشاً لَمْلَماً[١٠٣] إِلّا حَطَمَتْهُ، أَوْ مَجْراً[١٠٤] عَرَمْرَماً[١٠٥] إِلّا اجْتاحَتْه.

تَخالُهُ اَسَداً يَحْمي العَرِينَ إِذا
يَومُ الهِياجِ بِأَبْطالِ الوَغا زَحَفا
يُظِلُّهُ النَّصْرُ والرُّعْبُ اللّذانِ هُما
كانا لَهُ عادَةً إِنْ سارَ أَوْ وَقَفا
شَواهِدٌ فَرَضَتْ في النّاسِ طاعَتَهُ
بِرَغْمِ كُلِّ حَسُودٍ مالَ وانْحَرَفا

فَمَواقِفُهُ الهاشِمِيَّةُ أَظْهَرُ مِن البُرهان، ومُجاهَداتُهُ لاتَحْتاجُ إِلى بَيان.

فَهُوَ بَدْرُ الكَتائِبِ وَبَنُوهُ كَواكِبُها، وصَدْرُ الجَحافِلِ وأَقْرَبُوهُ مَناكِبُها، وقُطْبُ رَحا الهَيجاءِ وأَغْصانُهُ جَوانِبُها.

---

(٩٩) البغاث: صنف من الطير لا يصيد.

(١٠٠) القَرَم: شدة شهوة أكل اللحم.

(١٠١) الريح العادية: يعني الريح التي أهلكت قوم عاد.

(١٠٢) السَموم: الريح الحارة.

(١٠٣) اللملم: الجيش الكثير المجتمع.

(١٠٤) المجر: الجيش الكثير لثقله وضخمه.

(١٠٥) العرمرم: الجيش الكثير.

قَوْمٌ سَماؤُهُـمُ الـسُّيُوفُ وأَرْضُـهُـمْ
أَعْـداؤُهُمْ ودَمُ السُّيوفِ بُحـورُهـا
يَسْتَمْـطِرُونَ مِن العَجـاجِ سَحـائِبَاً
صَوْبُ الْحُتُوفِ على الزُّحُوفِ مُطُورُها
وحَـنـادِسُ الفِتَنِ الّتي إِنْ أَظْلَمَتْ
فَشُـمُـوسُـهـا آراؤُهُمْ وبُـدورُهـا
مَلَكُـوا الجِنـانَ بِفَضْلِهِمْ فَرياضُهـا
طُرَّاً لَهُمْ وخِـيامُـهـا وقُـصـورُهـا
وإِذا الـذُّنُـوبُ تَضـاعَفَتْ فَبِحُبِّهِمْ
يُعْـطي الأَمانَ أَخا الذُّنُوبِ غَفُورُها
تِلكَ النُّجُـومُ الـزُّهْـرُ في أَبْـراجِهـا
وَمِـنَ الـسِّـنِـيـنَ بِهِمْ تَتِـمُّ بُدُورُهـا

معنى

قلتُ في بَعْضِ ما أَلَّفْتُهُ ذاكِرَاً قِصَّةَ فَتْحِ مَكَّةَ حَرَسَها اللهُ تعالى، وأَنَّ الحارِثَ بنَ هِشامٍ في جَماعَةٍ لَجَئُوا إِلى أُمِّ هانِئٍ بنتِ أَبي طالِب، فَقَصَدَ عَلِيٌّعَلَيهِ السَّلامُ دارَها وقال: أَخْرِجُوا مَنْ آوَيْتُمْ، فجَعَلُوا يَذْرقُونَ كما تَذْرقُ الحُبارى[١٠٦] خوفاً منه.

---

(١٠٦) الحبارى: طائر يستوي مفرده ومثناه وجمعه، ومؤنثه ومذكره، في هذا اللفظ. ومن المعروف عن الحبـارى أنها اذا انحط عليها الصقر ليصيدها استلقت على ظهرها ورمته بذرقها، ←

قلت: ومَنْ كانَت السِّباعُ نَقَدَه[١٠٧] حادَ القِرْنُ عَنْهُ، فَهُوَ كما وصَفَهُ العارفُ به:

يَقْـرُنُ أَرْواحَ الـكُـماةِ بالـرَّدى
لِذاكَ حاصَتْ[١٠٨] دُوْنَـهُ أَقْـرانُـهُ
تَبْكي الطُّلى[١٠٩] إِنْ ضَحِكَتْ أَسْيافُهُ
وتَـرْتَـوي إِنْ عَطِشَتْ سِنـانُـهُ
تَرى سِبـاعَ البِيدِ تَقْفُـو إِثْـرَهُ
لِأَنَّها يَوم الـوَغـا ضِيفـانُـهُ

معنى

قلتُ في كَلامٍ بَسِيطٍ عِنْـدَ شَيءٍ مِنْ ذِكْـرِ مَولانا الحُسَين عَلَيهِ الصَّلاةُ والسَلامُ في شَجاعَتِه، وما أَقَرَّ لِسانُ البَسالَةِ بِهِ مِنْ عَظِيمِ نَجْدَتِه: فَوُجِدَ في رَأْسِهِ المُقَدَّسِ ثَلاثٌ وثَلاثُونَ جَراحَةً، وفي ثَوْبِهِ مائةٌ وَبِضْعَة عَشَرَ خَرْقاً مِنْ رَشْقِ السِّهام.

وَهُوَ يَأْبى قَبُولَ الاسْتِسلام، شَبِيها بحالِ مُتَشَوِّقٍ إِلى الحِمام.

← وذرقها حار يحرق ريشه. ولهذا قيل في الحبارى: «سِلاحُها سُلاحُها».

(١٠٧) النقد: جنس من الغنم، يضرب بها المثل فيقال: «أذل من النقد».

(١٠٨) حاصت: مالت وحادت عنه.

(١٠٩) الطلى: الأعناق.

مُشَهَّـرٌ مُعْلِمٌ[١١٠] والحَـرْبُ كاشِفَـةٌ
عَنهـا القِنـاعَ وبَحْـرُ المَـوتِ يَطَّرِدُ
لا قَائِـلًا كَمْ أُسـاقي المَـوتَ شَارِبَهُ
في كَأْسِـهِ والمَنـايا شُرَّعٌ[١١١] وُرُدُ[١١٢]

* * *

(١١٠) المعلِم: هو الفارس الذي يجعل لنفسه علامة في الحرب ليعرف.

(١١١) شرع: رافعة رؤوسها ظاهرة.

(١١٢) ورد: جمع واردة،ولم أجد هذا الجمع فيما بين يدي من معاجم اللغة.

الفصل السابع

في فُنُونٍ شَتّى

قلتُ في كتابي المُسَمّى بالآداب الحِكَميَّة:

مِن الحَيْفِ أَنْ يُمَلِّكَ ذَوو الشَّهْوَةِ نُفُوسَهُمْ مَآرِبَها كَيفَ كانَتْ.

ثُمَّ يُزاحِمُونَ على المَراتِبِ السَّامِيَةِ أَعْداءَ الشَّهواتِ، المُصارِمِينَ لِلَّذّات.

يَحْسُدُني قَومي عَلى صَنْعَتي
لِأَنَّني في صَنْعَتي فارِسُ
سَهِرْتُ في لَيْلِيَ واسْتَنْعَسُوا
هَل يَسْتَوي السّاهِرُ والنّاعِسُ

معنى

قلتُ:

جَماعَةٌ لاحِيْلَةَ فِيهِم:

الحاسِدُ.

ورَجُلٌ يَقِيسُ مَقاصِدَكَ الشَّرِيفَةَ بِمَقاصِدِهِ الذَّمِيمَةِ غالِطاً في العِلَّة.

ورَجُلٌ يُبْغِضُكَ لا لِعِلَّةٍ يَعْرِفُها يَبْنِي عَلَيها، أَوْ لِعِلَّةٍ يَبْنِي عَلَيها لَسْتَ مِنْها في شَيء، أَوْ كُنْتَ مِنْها في شَيءٍ مَعْذُوراً، كَمَنْ يُؤْذِيكَ مُصِرّاً فَيَبْنِي عَلَى أَنَّكَ تُبْغِضُهُ مُقاصّاً فَيُبْغِضُك.

ورَجُلٌ خَسِيسُ المَقاصِدِ، عارِفٌ أَنَّ مَقاصِدَكَ تُنافِيهِ، فَيُقاصُّكَ

بالبغضة ظُلْماً، لتوهُّمِه بغضك لَهُ عَدْلاً.

ورجُلٌ يَغارُ من محاسِنِكَ فيَرْميكَ بقُدُوحِهِ الحالَّةِ فيهِ إيثاراً لمُناسَبَتِكَ لَهُ.

بَلاءٌ لَيْسَ يُشْبِهُهُ بَلاءٌ
عَداوَةُ غَيْرِ ذِي حَسَبٍ وَدِينِ
يُبِيْحُكَ مِنْهُ عِرْضاً لَمْ يَصُنْهُ
وَيَرْتَعُ مِنْكَ في عِرْضٍ مَصُونِ

وقالَ الشَّرِيفُ الرَضِيّ رَضِي الله عَنْهُ:

ذَنْبي إلى البُهْمِ[١١٣] الكَوادِنِ[١١٤] أنَّني الـ
ـطُّرْفُ[١١٥] المطهَّمُ[١١٦] والأَغَرُّ الأقْرَحُ[١١٧]
يُولُونَني خَزَرَ[١١٨] العُيُونِ لأنَّني
غَلَّسْتُ في طَلَبِ العُلى وتَصَبَّحُوا

---

(١١٣) البهم: جمع «الأبهم» وهو الخالي الذي ليس معه شيء من المكارم، ويصح أن تقرأ «البَهْم» وتعني الحيوانات.

(١١٤) الكوادن: جمع «الكودن» وهو البرذون، ويشبه به البليد.

(١١٥) الطرف: المهر الكريم.

(١١٦) المطهم: التام الخَلق والخُلق.

(١١٧) الأقرح: الذي في وجهه بياض أقل من الغرة.

(١١٨) الخزر: النظر بحدة.

وَجَذَبْتُ بِالطِّوَلِ[١١٩] الَّذى لَمْ يَجْذِبُوا
وَمَتَحْتُ بِالغَرْبِ[١٢٠] الَّذي لَمْ يَمْتَحُوا
لَوْ لَمْ تَكُنْ لي في القُلوبِ مَهـابَـةٌ
لَمْ يَطْعَنِ الأَعْـداءُ فِيَّ ويَقْـدَحُـوا
نَظَرُوا بِعَـيْنِ عَداوَةٍ وَلَـو أَنَّها
عَيْنُ الرِّضى لاسْتَحْسَنُوا ما اسْتَقْبَحُوا

معنى

قلتُ: في كَلامٍ جَمٍّ مُجيباً فِيْهِ مَنْ فَخَرَ على بَني هاشِم فَفَجَر:

وبَعْدُ:

فلَيْسَ الفَخْـرُ بالغَلَبَةِ والانْتِصار، بَل الفَخْرُ بِمَعاني الرِّجالِ في أَنْفُسِهِمْ وشَرَفِهِمْ في ذَواتِ أَقْدارِهِمْ.

فالشَّـريفُ شَريفٌ وَإِنْ تَعَدَّتْهُ الأَعْراض[١٢١] والرَّذْلُ رَذْلٌ وَإِنْ أَصابَ بِسِهامِ الأَغْراضِ عُيُونَ الأَغْراض[١٢٢].

والأَسَدُ لا يُخْرِجُهُ عَن جَوْهَرِهِ صَوْلُ الأَقْدارِ عَلَيه، والوَزَغَةُ[١٢٣] لايُلْحِقُها بِالشَّرَفِ مُواتاةُ الأَقْدارِ لَها.

---

(١١٩) الطول: الحبل.

(١٢٠) الغرب: الدلو العظيمة.

(١٢١) الأعراض: الأموال.

(١٢٢) الأغراض: جمع غرض، وهو ما ينصبه المتسابقون في رمي السهام هدفاً لهم.

(١٢٣) الوزغة: حشرة من فصيلة أبي بريص.

وإذا كان الأَمْـرُ كذا فإنَّ فَخْـرَ بَني هاشِمٍ بِجَـواهِرِ النُّفُوسِ ومَيْمُونِ الخَصائِص ، لا يُوهِي رُكْنَهُ تَسَلُّطٌ، ولا يَمْحَقُهُ قَهْرٌ.

وإن نازَعَ أَعْداؤُهُمْ بِواسِطَةِ مُشارَكَتِهِمْ في النَّسَب، ومُجاذَبَتِهِمْ إيّاهُمْ فخارَ أَوَّلِيَّةٍ، فقد بَيَّنا القَدْحَ في ذلك.

ونُسَلِّمُ الـدَّعـوى. وَلكِنْ.. لَيْسَ أُمَيَّةُ كهـاشِم، ولا حَرْبٌ كَعَبْدِ المُطَّلِب، ولا أَبُو سُفيانَ كَأَبي طالِب، ولا المُهاجِرُ كالطَّلِيق، ولا المُحِقُّ كالمُبْطِل.

﴿ ومايَسْتَوي الأَعْمى والبَصِيرُ ولا الظُّلُماتُ ولا النُّورُ ولا الظِّلُّ ولا الحَـرُورُ وما يَسْتَوي الأَحياءُ ولا الأَمْواتُ إنَّ الله يُسْمِعُ مَن يَشاءُ وما أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ في القُبُورِ إنْ أَنْتَ إلاّ نَذِيرٌ ﴾[١٢٤] ﴿ وما يَسْتَوي البَحْرانِ هذا عَذْبٌ فُراتٌ سَائِغٌ شَرابُهُ وهذا مِلْحٌ أُجاج ﴾[١٢٥] .

أَبُـوهُمـا واحِـدٌ والفَـرْعُ بَيْنَهُـما
مِنْهُ الخُشاشُ[١٢٦] وَمِنْهُ المُثْمِرُ اليَنِعُ[١٢٧]

معنى

قلتُ: مَنْ جَرَّدَ سَيْفَ الهِمَمِ ظَفِرَ بِأَيْمَنِ الطِلاب[١٢٨]، ومَنْ رَضِيَ

---

(١٢٤) سورة فاطر، الآية ١٩ ـ ٢٣.

(١٢٥) سورة فاطر، الآية ١٢.

(١٢٦) الخُشاش : الرديء.

(١٢٧) اليَنِع: الثمر الناضج الذي بلغ غاية الكمال من النضج واللطافة.

(١٢٨) الطلاب: الطلب.

بِالعَجْزِ دُفِعَ عَنْ سامِي المَقاصِدِ بِحِجاب.

دُونَ المَعالِي مُرْتَقَىً شامِخٌ
فَطِرْ إِلى ذِرْوَتِهِ أَوْ قَعِ
مَنْ لَمْ يَخُضْ غَمْرَتَهُ لَمْ يَشِدْ
قَواعِدَ المَجْدِ ولَمْ يَرْفَعِ

غَيْرُهُ:

ومايَسْبَحُ الإِنسانُ في لُجِّ غَمْرَةٍ
مِن العِزِّ إلّا بَعْدَ خَوْضِ الشَّدائِدِ

معنى

قلتُ:

شَرَفُ الرَّجُلِ بِثَمَراتِهِ النَّفْسانِيّة، أَتَمُّ مِنْ شَرَفِهِ بِثَمَراتِهِ الشَّهوانِيّة.

يَقُولونَ: ذِكْرُ المَرْءِ يَحيى بِنَسْلِهِ
ولَيْسَ لَهُ ذِكْرٌ إِذا لَمْ يَكُنْ نَسْلُ
فَقُلْتُ لَهُمْ: ذِكْرِي بَدائِعُ حِكْمَتي
فَإِنْ لَم يَكُنْ نَسْلٌ فَإِنّا بِها نَسْلُو

معنى

قلتُ:

إِذا كَشَفَتِ المَحاسِنُ قِناعَ أَسْرارِها، وظَهَرَتِ البُدُورُ التِّمامُ بِساطِعِ

أنوارها.

غارَتْ نُجُومُ المُنافِسِين المُقَصِّرِين ونَطَقُوا بِلِسانِ عانِين[١٢٩].

حَسَـدُوا الفَتى إذْ لَمْ يَنـالُـوا فَضْلَهُ
فَالـنّـاسُ أَعْـداءٌ لَهُ وخُـصُـومُ
كَضَـرائِـرِ الحَسْناءِ قُلْنَ لِوَجْهِها
حَسَـداً وبَـغْـياً إنَّـهُ لَذَمِـيمُ

معنى

قلتُ:

إذا حازَ الأَوَّلُ قَصَباتِ السَّبْقِ في المَعاني الحكمية، والأَلْفاظِ الأَدَبيّة.

فَلِمَنْ خَلَفَهُ أَنْ يُنْشِدَ عاجِزاً عَنْ إبداءِ المَعْنى الغَرِيب، واللَّفْظِ البَدِيعِ العَجيب:

ولا ذَنْـبَ لِلأَفْـكـارِ أَنْتَ تَرَكْتَهـا
إذا احْتَشَـدَتْ لَمْ يُنْتَفَـعْ باحْتِشـارِها
سَبَـقَـتْ بِأَفْـرادِ المَعـانِي وَأَلَّفَتْ
خَواطِـرُكَ الأَلْفـاظَ بَعْـدَ شَرادِهـا
فَإنْ نَحْنُ حاوَلْنـا اخـتِراعَ بَديعَـةٍ
حَصَلْنـا عَلى مَسْـرُوقِهـا ومُعـادِهـا

---

(١٢٩) عانين: جمع عانٍ، وهو الخاضع الذليل.

قلتُ:

مَنْ عُجِنَتْ بِماءِ العُرُوبِيَّةِ[١٣٠] طِينَتُه، ونَطَقَتْ بِالدُّرَرِ النَفِيسَةِ لَهْجَتُه.

كان مَمْدُوحَ مَنْ قال:

وَلَفْظٍ كأَيّامِ الرَّبِيعِ تَبَسَّمَتْ
ثُغُورُ الرُّبى فِيهِ إلى أَوْجُهِ الوَرْدِ
وخَطٍّ كَمَوْشِيِّ الرِّياضِ تَحُوكُهُ
يَدُ المُزْنِ في عَفْراءَ[١٣١] ذاتِ ثَرًى جَعْدِ[١٣٢]

مُطَرَّزَةٍ بِالأُقْحُوانِ كَأَنَّما
شَقائِقُها خَدٌّ أُضِيفَ إلى خَدِّ
كَأَنَّ ابنَ إسماعِيلَ أَنْبَطَ مَشْرَباً
مِن الفِكْرِ مَحْمِيَّ الشَّرِيعَةِ والوِرْدِ
يُساقِطُ في القِرْطاسِ زُهْرَ لآلِئٍ
لَو انْتَظَمَتْ كانَتْ فَرائِدَ لِلْعِقْدِ

أو مَمْدُوحَ الأَمِيرِ أَبي فِراس العَرَبِيّ في مِثْلِ هذا المُراد، إذ يَقُولُ:

وَرَوْضَةٍ مِن رِياضِ الفِكْرِ دَبَّجَها
صَوْبُ القَرائِحِ لا صَوْبٌ مِن المَطَرِ

---

(١٣٠) العروبية: خلوص العربية.

(١٣١) العفراء: الأرض التي لونها أبيض ليس بالشديد البياض.

(١٣٢) الجعد: اللين.

كَأَنَّـما نَشَـرَتْ يُمْنَـاكَ بَيْنَهُـما
بُرْدَاً مِن الـوَشي أو ثَوْبَاً مِن الحِبَرِ

أَوْ مَمْدُوحَ مَنْ وَصَفَه بنَسَمات السَّحَر تَحْمِلُ أَرَجَ الزَّهر، إذْ قال:

يامُـوردَ الأسْـماعِ وَهْيَ حَوائِمٌ[١٣٣]
مِنْ لَفْـظِهِ المَعْسُولِ أَعْذَبَ مَشْرَبِ

وَمِنْ جِنْسِهِ قَوْلُ البُحْتُرِيّ:

أَمّـا مَسـامِـعُـنـا الـظِّماءُ فَإنَّها
تَرْوى بِماءِ كَلامِـكِ الـرَّقْـراقِ

وَإذا النَّـوائِبُ أَظْلَمَتْ أَحْـداثُهـا
لَبِسَتْ بوَجْهِـكَ أَحْسَنَ الإِشْـراقِ

وَلَقَدْ أَحْسَنَ ابْنُ الرُّوميّ في أَبْياتٍ تَتَعَلَّقُ بالفُصّادِ،[١٣٤] وَهِيَ:

يافـاصِـدَ العِـرْقِ المُبـارَكِ فَصْـدُهُ
قَسَـمَاً لَقَـدْ صَفَّـيْتَ غَيْرَ مُكَـدَّرِ

عِرْقٌ فَراهُ شَباالحَدِيدَةِ[١٣٥] عَنْ دَمٍ
كَعُصـارَةِ المِسْـكِ الـذَّكِيِّ الأَذْفَـرِ

لو كانَ ماءً لِلْوُجُـوهِ لَأَشْـرَقَـتْ
وَرَأَتْ لَها الأَبْـصـارُ أَحْسَنَ مَنْـظَرِ

---

(١٣٣) الحوائم: جمع الحائمة، وهي العطشى .

(١٣٤) الفصاد: جمع الفاصد، وهو الذي يقطع عرقاً من عروق الإنسان علاجاً من داء.

(١٣٥) شبا الحديدة: حدّ طرفها.

إِنِّي أَظُـنُّ قَرارَةً[١٣٦] حَظِيَتْ[١٣٧] بِهِ
سَتَكُـونُ أُخـرى الدَّهْرِ مَعْدِنَ عَنْبَرِ
أَتْـلِفْ بِهِ داءً وأَخْـلِفْ صحَّـةً
وأَلْبَسْ جَدِيدَ العَيْشِ لبسْ مُعَمَّـرِ

ولقد أَحْسَنَ العَطَوِيُّ في المَرْثِيَةِ إِذْ يَقُول:

وَلَيْسَ صَرِير النَّعْشِ مايَسْمَعُـونَـهُ
ولكِنَّهـا أَصْـلابُ قَوْمٍ تَقَصَّفُ[١٣٨]
وليْسَ نَسِيمَ المِسْـكِ رَيّا[١٣٩] حَنُوطِهِ
ولكِنَّـهُ ذاكَ الثَّنـاءُ المُخَلَّفُ

قلتُ:

مَنْ ضَرَبَ في المَجْـدِ بِقِـدْحٍ[١٤٠] غالِب، ورَشَقَ أَغْراضَ الفَخْرِ بِسَهْمٍ صائِب.

تَلقـاهُ وَهْـوَ مَعَ الإِحْسـانِ مُعْتَـذِرٌ
وَقَـدْ يُسِـيءُ مُسِيءٌ وَهْـوَ مَنَّـانُ

---

(١٣٦) القَرارة: منخفض من الأرض مستدير الشكل يجتمع فيه ماء المطر، والقُرارة: ما بقي في القدر، فلعل الشاعر جوّز معنى إحدى هاتين الكلمتين. أو أنها تعني القارورة.

(١٣٧) في المخطوط: «خُطَّت».

(١٣٨) القصف: الكسر.

(١٣٩) الرَّيّا: الريح الطيبة.

(١٤٠) القدح: سهم الميسر.

إِذا بَدا وَجْـهُ ذَنْبٍ فَهْـوَ في سِنَـةٍ
وَإِنْ بَدا وَجْـهُ خَطْبٍ فَهْـوَ يَقْـظانُ
يَقْظانُ مِنْ وَرَعٍ وَسْنانُ مِنْ درع[١٤١]
ياحَبَّـذا سَيِّداً يَقْـظانُ وَسْـنـانُ
يُصْـحِيهِ ذِهْنٌ وَيأْبى صَحْـوَهُ كَرَمٌ
مُسْتَحْكِمٌ فَهْـوَ صاحٍ وَهْـوَ سَكْرانُ
إِذا تَيَمَّمَـكَ العافى[١٤٢] فَكَوْكَبُهُ
سَعْدٌ[١٤٣] وَمَرعاهُ في وادِيكَ سَعْدانُ[١٤٤]
أَحْـيا بِكَ الله هذا الخَـلْقَ كُلَّهُـمُ
فَأَنْـتَ رُوحٌ وهـذا الخَـلْقُ جُثْـمانُ

الأَبيات لابنِ الرُّومي.

ولقد أَحْسَنَ في قَوْلِهِ:

كُلُّ الخِـلالِ الَّـتي فِيكُمْ مُجانِسَـةٌ
تَشـابَهَتْ مِنْكُمُ الأَخْـلاقُ والخلقُ

---

(١٤١) كذا في المخطوط.

(١٤٢) العافي: السائل.

(١٤٣) سعود النجوم عشرة، وهي: سعد بُلَع، وسعد الأخبية، وسعد الذابح، وسعد السعود، وسعد ناشرة، وسعد الملك، وسعد البهام، وسعد الهمام وسعد البارع، وسعد مطر. وهي كواكب يتيمن بها.

(١٤٤) السعدان: نبت من أفضل مراعي الابل، ومنه المثل «مرعى ولا كالسعدان».

فإنَّكُمْ شَجَـرُ الأَتْـرُجِّ طابَ مَعَـاً
حَمْلًا وَنَـوْرَاً[١٤٥] وطـابَ العُـودُ والـوَرَقُ

وله:

يَسْـتَـعْـبِـدُ الأَحْـرارَ إلّا أَنَّـهُ
يَسْـتَـعْـبِـدُ الأَحْـرارَ بِالإِعْتـاقِ
والـرِّقُّ في الإِعْتـاقِ حُكْمٌ لِلعُـلى
حَكَـمَتْ بِهِ والأَيْسَـرَ في الإِعتـاق

وأَحْسَنَ أَبُو تَمّامٍ ـ رَحِمَهُ الله تعالى ـ في قَولِه:

يامُهْجَـةَ القَلْبِ ياقَلْبَ السَّـماحَةِ يا
رُوحُ المَعـالي وَعـيْنَ الظَرْفِ والأَدَبِ

ولقد أَحْسَنَ البُحْتُرِيُّ في قَولِه:

وَيَدَّعي الفَضْـلَ أَقْـوامٌ فَيَفْضُلُهُمْ
مُوَحَّـدٌ بِغَـرِيبِ الـذِّكْـرِ مُنْفَـرِدُ
تَوَحُّـدَ القَمَـرِ السّـارِي بِشُهْـرَتِـهِ
وأَنْـجُـمُ اللَّيلِ بدٌّ حَوْلَـهُ بَدَدُ[١٤٦]

وأَحْسَنَ ابنُ الرُّومِيّ في قَوْلِه:

ومـانَفَحاتُ الرَّوْضِ تُثْني على الحَيا
بأَطْيَبَ مِنْ ذِكْـرٍ لَكُمْ في المَحـافِلِ

---

(١٤٥) النور: الزهر.

(١٤٦) بدّ، وبدد: متفرقة.

قلتُ:

مَنْ أَضاءَتْ في مَطالعِ الكَرَمِ أَبْدارُه، وسَطَعَتْ في آفاقِ الجُودِ أَنْوارُه.

كانَ أَهْلاً أَنْ يُخاطَبَ ببَيْتَيِ البُحْتُرِيّ:

أَبـا حَسَنٍ أَنْشَـأْتَ في أُفُقِ النَّدى
لَنـا كَرَمَـاً آمـالُـنـا في ظِلالِـهِ
مَضى مِنْكَ وَسْمِيٌّ[١٤٧] فَجُدْ بوَلِيِّهِ[١٤٨]
وعَـوَّدْتَ مِنْ نُعـماكَ فَضْـلاً فَوالِـهِ

أَقُول:

إِنَّ كُلَّ قَوْلٍ مَوقُوفٌ عَلى اقْتِرانِهِ بِالأَفْعال، ومَصاحَبَتِهِ لِمَيْمُونِ الخِلال[١٤٩].

فإِنْ قَصَّرا عَنْهُ فَهُوَ كَسحابٍ أَظَلَّ وَماطَلّ[١٥٠].

وإِنْ بَلَغاهُ فَهُوَ كَمُزْنَةٍ هَطَلَ سَماؤُها، وانْفَجَرَ ماؤُها.

وفي مِثْلِه يَقُولُ الموسويّ:

القَـوْلُ يَعْـرِضُ كَالهِلالِ فَإِنْ مَشى
فيهِ الـفِـعـالُ فَذاكَ بَدْرُ تَمامِ

---

(١٤٧) الوسمي: مطر الربيع الأول، لأنه يسم الأرض بالنبات.

(١٤٨) الولي: المطر بعد الوسمي، سمي ولياً لأنه يلي الوسمي.

(١٤٩) الخلال: الصفات والأخلاق.

(١٥٠) طل: مطر.

قلت:

اذ مَرَدَ النّـاسُ ، فإنْ سامَحْتَهُمْ فَسَدَ دِينُك، وإنْ شاقَصْتَهُم[١٥١] فَسَدَتْ دُنياك.

فَمُباعَدَتُكَ لَهُمْ رُبَّما كانَتْ مَظِنَّةَ صَلاحِ الحالَين.

وهُوَ رِبْحٌ تامٌّ يَرْغَبُ فيهِ أَرْبابُ البَصائِر.

النّـاسُ بَحْـرٌ عَمِيقٌ والبُعْـدُ مِنْهُمْ سَفِينَـهْ
وَقَـدْ نَصَحْتُـكَ فَانْظُر لِنَفْسِـكَ المِسْكِينَـهْ

معنى

يَتَعَلَّقُ بِذَمِّ التَّوَغُّل فِي مُعاداةِ النّاس

قلتُ:

أَحَدُ الأَقْسامِ المَحْذُورَةِ في مُعاداةِ النّاسِ ، أَنَّهُ تَطْرِيقٌ لِتَمْزِيقِ مالا قِيمَةَ لَهُ مِنَ العُمر بالمُصارَمَة، أَوْ تَعَرُّضٌ لِما يَذْهَبُ بِهِ مَعنى الحَياةِ بِاحتِمالِ المَكارِه.

تَكَثَّـرْ مِن الإِخْـوانِ مااسْطَعْتَ إِنَّهُمْ
عِمادٌ إِذا اسْـتَـنْـجَـدْتَهُـمْ وظَهِـيرُ
فما بِكَـثِـيرٍ أَلْـفُ خِلٍّ وصـاحِبٍ
وَإِنَّ عَدُوّاً واحِـداً لَكَـثِـيرُ

---

(١٥١) شاقصتهم: شاركتهم.

معنى

يَتَعَلَّقُ بالقَصْدِ في تَناوُلِ الطَّعام

أَقُول:

إنَّ البِطْنَةَ مَثارٌ لِأَخْطارٍ مُتَعَدِّدَةٍ:

أَحَدُها: البُعْدُ عَنْ خِدْمَةِ إلهِ الوُجُود، والأُنسِ بِهِ، والتَّلَذُّذِ بالنُّشاط.

وَمِنْ آفاتِها طَمْسُ ضِياءِ الحِسّ، وفَسادُ الجَسَد.

وكَثْرَةُ صُدُورِ الخَبَث، ومَعالَجَةُ إزالَتِه، وإفْسادُ الطَّعامِ لِغَيْرِ ما وَجْهٍ صَحِيح.

ونِسْيانُ الجائع، والحَيْلُولَةُ بَيْنَ فاضِلِ الطَّعامِ وبَيْنَ مُضْطَرٍّ إلَيه.

وشغلُ الوَقْتِ والهِمَّةِ بتَحْصِيلِهِ وَتَناوُلِه، وَقَدْ يَكُونُ تَحْصِيلُهُ مَبْنِيّاً على أَخْطارٍ دِينِيَّةٍ أَوْ دُنْيَوِيَّةٍ أَوْ مَجْمُوعِهما.

والمُشابَهَةُ لِلذَّواتِ البَهِيمِيَّة.

ويَتَفَرَّعُ عَمّا ذَكَرْتُ إدْخالُ عَدُوٍّ مُسَلَّطٍ إلى شَرِيفِ بَواطِنِ الأَمْعاء، مَعَ وُجُوبِ إبعادِ العَدُوِّ عَنِ التَّسَلُّطِ على أَذى ظَواهِرِ الأَعْظاء.

وتَضْيِيعُ العُمر، لأَنَّ البِطْنَةَ جَدّاً يَبْعُدُ مَعَها صَفْوُ اللَّذَّةِ ويَتَوَجَّهُ الأَلَم، ومَنْ كان هذا حالُهُ كانَ في مَقامِ مَفْقُود.

ومِنْ آفاتِها أَنْ يَكُونَ فاعِلُ ذلكَ في مَقامِ مَحَصِّلٍ للآفاتِ القادِحَةِ في العَقْلِ والمِزاج، حَيْثُ يَكُونُ غَيْرُهُ - مِن سُفَهاءَ وناقِصِين - مُجِدّاً في

الخلاص منها.

فعلى هذا مَنْزِلَتُهُ أَخَسُّ من مَنازِلِ السُّفَهاء.

ولَئِنْ كان له نِسْبَةٌ، فإنما تكونُ بِسَفِيهٍ عَدِمَ[١٥٢] عَقْلَهُ، فَهُوَ يُقْدِمُ على مايُلائمُ مِزاجَهُ في الحالِ الحاضِرَةِ غَيرَ ناظِرٍ في عاقِبَة.

وقد يَكُونُ مِن البِطْنَةِ مايُؤْلِمُ في الحالِ، وَهُوَ شَيءٌ قَدْ يَتَباعَدُ السَّفِيهُ عَنْهُ.

وإنَّما يَكُونُ الإِقْدامُ على تَناوُلِ الطَّعامِ عَنْدَ ذلكَ، مَعَ مُنافاةِ العَقْلِ ومُخاصَمَةِ طائِفَةٍ مِن جَيْشِ الطَّبْعِ، بطبعٍ خَسِيسٍ رَذلٍ بَهيميّ.

وَإِنَّكَ مَهْما تَعْطِ بَطْنَكَ سُؤْلَهُ
وفَرجَكَ نالا مُنْتَهى الذَّمِّ أَجْمَعا

معنى
يَتَعَلقُ بِذَمِّ الغِيبَةِ

نَقَلْتُهُ مِن كِتابي الذي أَنْشَأْتُهُ وَسَمَّيْتُهُ كِتابَ الآداب الحكميّة، قلتُ:

الغِيبَةُ إِمّا أَنْ تَكُونَ مَعَ قَطْعٍ بِالعَيبِ، أَوْ مَعَ القَطْعِ بِعَدَمِهِ، أَوْ مَعَ الشَّكِّ.

والأَوَّلُ يَلْزَمُهُ مِن المَحْذُورِ شغلُ الوَقْتِ بِما لا يُجْدِي، والتَّعَوُّضُ بذلكَ مما يُجْدِي، مع مَقْتِ الله تَعالى وَمَقْتِ العُقَلاء، وتَسْلِيطِ المُغْتابِ على المُقابَلَةِ بِالقَبِيح إنْ كان غيرَ مَأْمُون.

---

(١٥٢) عدم: فقد.

إذا النّــاسُ غَطُّوْني تَغَـطَّيْتُ عَنْهُمُ

وَإِنْ بَحَثُــوني كانَ فِيهِمْ مَبــاحِثُ

وَإِنْ كانَ مَأْمُوناً فالإِشْكالُ على المُغْتاب لِمِثْلِه أَشَدّ.

ومِنْ مُسْتَفْظَعِ الغِيبَةِ الإِشارَةُ بها إلى مَنْ لَمْ يَصْدُرْ عَنْهُ أذى.

ومِنْ شَواهِـدِ قُبْحِها والبَواعِثِ على حُسْنِ تَرْكِها، كَوْنُها شَعاراً لأَرْبابِ السَّفَه والغَفْلَة.

ثُمَّ إِنَّ الغِيْبَة إِمّا أَنْ تُؤَثِّرَ ضَرَراً في جانِبِ المُغْتاب أَوْ لا.

فإِنْ لَمْ تُؤَثِّرْ ضَرَراً فَما حَصَّلَ المُغْتابُ غَرَضَه، بَلْ حَصَلَ بِمُجَرَّدِ الإِثْمِ ودَنَسِ الغِيبَةِ وفُنُونِ أَخْطارِها، أَوْ فُنُونٍ مَنْ أَخْطارِها.

وإِنْ أَثَّـرَتْ ضَرَراً فَهُوَ إِمّا في نَفْسٍ ، أَوْ عِرْضٍ ، أَوْ مالٍ، أَوْ مايَتَرَتَّبُ مِنْ ذلك.

وأَخْطارُ ذلك شَدِيدَة.

وإِذْ قَدْ وَضَحَ قُبْحُ الغِيبَةِ في جانِبِ مَنْ عُرِفَ عَيْبُهُ.

فَما ظَنُّكَ بِها في جانِبِ مَنْ عُرِفَتْ نَزاهَتُهُ، أَوْ شُكَّ فِيها.

وذلكَ تَمامُ القِسْمَة.

وقَدْ يَكُونُ لِذِكْرِ الشَّخْصِ بِالقَبِيحِ مِنْ فِعالِهِ وَجْهٌ حَسَن، إِذا كان المَقُولُ فِيهِ مُعْلِناً[١٥٣].

والغَرَضُ بِعَيبِهِ وَجْهُ الله تَعالى على الشُّرُوطِ المُعْتَبَرَةِ.

أَوْ عَلى سَبِيلِ الشَّكْوى مِنْ فاعِلِ القَبِيحِ، لِيَدْفَعَ الذامُّ ظُلْمَهُ

---

(١٥٣) أي معلناً بالقبيح.

عَنْهُ، أَوْ عَنْ بَعْضِ الْمَظْلُومين.

وَكُنْتُ إِذا قَوْمٌ رَمَوْني رَمَيْتُهُمْ
فَهَلْ أَنا في ذا يالَ هَمْدانَ ظالِمُ
مَتى تَجْمَعِ القَلْبُ الذَّكِيَّ وصارِماً
وَأَنْفاً حَمِيّاً تَجْتَنِبْكَ الْمَظالِمُ

معنى
يَتَعَلَّقُ بالكَرَم

قلتُ:

بِحَسبِ حالِ النُّفُوسِ في سُمُوّها، وَعُلُوّها في سُؤْدَدِها، يَمُرُّ بِها نَسِيمُ مَكارِمِ الأَخْلاق، ويَسْرِي عَلَيها رَوْحُ عَرَبِيِّ عَشِقَ الْمَحاسِن.

فَتَمِيسُ للصَّنائِعِ الْجَمَّةِ أَغْصانُها، وَتَمِيدُ أَفْنانُها، وتَطِيبُ ظِلالُها، وتَزْكُو ثِمارُها.

وتَصِيرُ مَقِيلاً لِلْقَرِيب والبَعِيد، والدّاني والشَّرِيد.

فَتَمْنَحُهُمْ مِن ثِمارِها أَمْتَعَها، وَمِنْ حِباها أَعْذَبَهُ وأَمْرَأَه.

جامِعَةً بَيْنَ الإِسْعافِ الْجَزِيلِ وتَصْغِيرِهِ، وَتَعجِيلِهِ وسَتْرِ قَلِيلِهِ وَكَثِيرِه.

والاعْتِرافِ بِاليَدِ لِمَنْ عَرَّضَ نَفْسَهُ للصَّنِيعَةِ، وَعَرَضَها للاسْترقاق.

أَلا أَيُّها الزُّوّارُ لا يَدَ عِنْدَكُمْ
أَيادِيكُمُ عِنْدِي أَجَلُّ وأَكْبَرُ

وَإِنْ كُنْتُمُ أَفْرَدْتُمُونِي لِلرَّجَا
فَشُكْرِي لَكُمْ مِنْ شُكْرِكُمْ لِي أَكْثرُ

عارِفاً بِأَنَّ الحَقَّ لِمَنْ عَوَّضَ مِن الإِحسْانِ شُكْرا، وأَبْقى بِالَمدْحِ ذِكْرَا.

فَإِنَّكَ إِنْ ذَوَّقْتَنِي ثَمَرَ الغِنى
حَمِدْتَ الَّذي أَجْنِيْكَ[١٥٤] مِنْ ثَمَرِ الشُكْرِ

فَإِنْ يُغْنِ ماتُعْطِيه في اليَومِ أَوْغَدٍ
فَإِنَّ الَّذي أُعْطِيكَ يَبْقى على الدَّهرِ

ويَتَفَرَّعُ عَنْ هذا قُبْحُ المِنَّةِ به، والإِذْلالِ بِاعْتِماده.

أَمِيلُ مَعَ الِذّمامِ[١٥٥] على ابْنِ أُمّي
وَآخُذُ لِلصَّدِيقِ مِن الشَّقِيقِ

وَإِنْ أَلْفَيْتَنِي مَلِكاً مُطاعَاً
فَإِنَّكَ واجِدِي عَبْدَ الصَّدِيقِ

أُفَرِّقُ بَيْنَ مَعْرُوفي وَمَنِّي
وَأَجْمَعُ بَيْنَ مالي والحُقُوقِ

وَمِنْ صِفةِ المُغْرَمِين بِالسَّخاء وإِسْداءِ النَّعْماء، أَنْ تَكُونَ جَوارِحُهُمْ عَلَيهِمْ، لَوْجَري في خَواطِرِهِم المَنْعُ، وتَرَدَّدَ في صُدُورِهِمُ الاعْتِذار.

---

(١٥٤) أجنيك: أجني لك.

(١٥٥) الذمام: الحق.

كَرِيمٌ إِذا ماجِئْتَ طالِبَ حاجَةٍ
حَبــاكَ بِما تَحْوِي عَلَيهِ أَنــامِــلُهْ
وَلَــوْ لَمْ يَكُنْ في كَفِّــهِ غَيْرُ نَفْسِــهِ
لَجادَ بِها فَلْيَتَّــقِ اللهَ سائِــلُهْ
تَعَــوَّدَ بَسْطَ الكَفِّ حَتّى لَوَ أَنَّــهُ
ثَنــاهــا لِقَبْضٍ لَمْ تُطِعْــهُ أَنــامِلُهْ
تَراهُ إِذا ماجِئْــتَــهُ مُتَــهَــلِّلاً
كَأَنَّــكَ تُعْــطِيهِ الَّــذي أَنْتَ سائِلُهْ
هُوَ البَحْــرُ مِن أَيِّ النَّــواحي أَتَيْتَهُ
فَلُجَّتُــهُ المَعْــرُوفُ والجُــودُ ساحِلُهْ

أقول:

إنَّ هذهِ الأبْيات انْدَرَجَتْ على أَوْصافٍ لائِقَة، ومَحاسِنَ رائِقَة.

إلاّ في قَوْلِه:

..... كَأَنَّكَ تُعْطِيه الَّذي أَنْتَ سائِلُهْ

فإنّي أَراهُ في غَايَةٍ مِن مَراتِبِ الذَّمّ، ونِهايَةٍ مِنْ مَقابِح؛ العَيْب كَيْفَ يَكُونُ الأَرْيَحِيُّ ـ الَّذي تَضَمَّن مَدْحَهُ هذا القَرِيضُ ـ مُبْتَهِجاً عِنْدَ شِدَّةِ المُبالَغَةِ بِما يَصِلُ إِلَيهِ مِنْ إِحْسان، أَوْ يَظْفَرُ بِهِ مِن نَوال.

هذا نَقْصٌ ظاهِرٌ وعَيْبٌ فَظِيع.

إلاّ أَنْ يَكُونَ الشَّاعِرُ قَصَدَ أَمْراً بَعُدْتُ عَنْ فَهْمِه، وضَلَلْتُ عَنْ دَرْكِه.

وَمِنْ مَعاني البَذْلِ الابْتِداءُ بِهِ قَبْلَ السُّؤال، وَذُلِّ أَرْبابِ الآمال.

إِذا كانَ الـعَـطاءُ بِبَـذْلِ وجْـهي
فَقَـدْ أَعْـطَيْتَـني وَأَخَـذْتَ مِنّي

وَمِنْ مَعـانِيهِ اقترانُهُ بِالوُفُورِ سادًّاًلِلْخَلَّةِ[١٥٦]مُعيناً، عَنْ غَيْرِ مَنٍّ أَسْداهُ وَطَوَّقَهُ وَ أَوْلاه.

ومِن مَعانِيهِ أَنْ لايَرْجِعَ الُمحْسِنُ عَنْ قاعِدَتِهِ في إِكرامِ مَنْ قَصَدَ الصَنِيعَة إِلَيه، بَلْ يَزِيدُهُ إِجْلالاً ماكانَ يَعْتَمِدُهُ لَدَيه.

ومِنْ مَعانِيهِ قَطْعُ الخاطِرِ وَاللِّسانِ عَنْ ذِكْرِ الصَّنِيعَةِ وَإِسداءِ المَكارِم.

وَمِنْ تَمامِ مَعـانِيهِ شَرَفُ المَحَلِّ في جانِبِ الُمعْطي، إِمّا قِصْداً أَوْ لاقَصْداً، وَهُوَ مَعَ القَصْدِ أَتَمُّ.

وَمِنْ شُرُوطِهِ الشَّرْعِيَّةِ مُقارَنَةُ ذلكَ بِنِيَّةِ الإِخْلاصِ وَصَفاءِ الطَّوِيَّة.

وَمِنْ شُرُوطِهِ الشَّرْعِيَّةِ كَونُ مايُبْذَلُ زاكِياً حَلالاً، اعْتِباراً بِأَنَّ الله تَعالى لايَقْبَلُ إِلاّ ماأُخِذَ مِن حِلِّهِ فَوُضِعَ في حَقِّه.

وَمِنْ مَعانِيهِ الاعْتِرافُ التامُّ لله تَعالى بِالنِّعْمَةِ إِذا قَدَرَ على المَعْرُوفِ.

وهو مَعْنىً يَخْتَصُّ بِهِ كَمالُ الخالِقِ، فَشَرَّكَ عَبْدَهُ الضَّعِيفِ فِيه.

وَمِنْ مَعانِيهِ التَّواضُعُ في حالِ الإِعْطاء، واسْتِشعارُ لِباسِ الحَياء

---

(١٥٦) الخلة: الحاجة.

وَمِنْ مَعانِيهِ أَنْ يَكُونَ إِيْصالُهُ لامِنْ يَدِ الْمُسْعِفِ، صَوْناً لِوَجْهِ مَنْ يُسْعِفُ مِنْ خَجَلِ الْمواجَهَة.

وَمِنْ مَعانِيهِ ـ جُمْلَةً ـ أَنْ يَكُونَ صافِياً مِنْ كَدَرٍ تَتَّضِعُ بِهِ مَنْزِلَتُه، حاوِياً لِكُلِّ فَضِيلَةٍ تَرْتَفِعُ بِها دَرَجَتُهُ.

وَمِنْ مَعانِيهِ صُدُورُهُ عَن الْمُعْطِي في حالِ الغَضاضَةِ[١٥٧] والشَّباب، وطَمَعِهِ في البَقاءِ وَبُلُوغِ الْمَحابّ.

جادَ بِالقُرْصِ والطَّوى[١٥٨] مِلءُ جَنْبَيهِ
وعافَ الطَّعامَ وَهْوَ سَغُوبُ[١٥٩]
فَأَعادَ القُرْصَ الْمُنِيرَ عَلَيه الـ
ـقُرْصُ وَالْمُقْرِضُ الكِرامِ كَسُوبُ[١٦٠]

معنى
يَتَعَلَّقُ بالحِلْم

قلتُ:

الصَّفْحُ عَنْ أَرْبابِ الجَرائِمِ خُلُقُ مَن اعْتَبَرَ، ومَذْهَبُ مَنْ تَبَصَّر.

---

(١٥٧) الغضاضة: الطراوة وحال الشباب.

(١٥٨) الطوى: الجوع.

(١٥٩) السغوب: الجائع.

(١٦٠) في هامش المخطوط: «لعلي بن نا في أمير المؤمنين عليه السلام والتحية والإكرام».

اعْتِبارَاً بِجَلالِ مَنْ تَلِينُ القُلُوبُ القاسِيَةُ بَيْنَ يَدَيه، وتَصْغرُ الأقْدارُ السَّامِيَةُ عِنْدَه.

واعتبارَاً بِما أَنَّهُ بِمقَامِ خَجلٍ مَنْ أَضْرَمَ نارَ غَيْظِهِ عِنْدَ ذَنْبٍ صَدرَ مِنْ مُشابِهٍ لَهُ في البَشَرِيّة، وَهُوَ يُواقِعُ أَضْعافَهُ في إِسْخاطِ خالِقِ البَرِيَّة.

أَهْمَلْتَ نَفْسَكَ في هَواكَ وَلُمْتَني
لَوْ كُنْتَ تُنْصِفُ لُمْتَ نَفْسَكَ دُوني
مابالُ عَينِكَ لاتَرى أَقْذاءَها
وتَرى الخَفِيَّ مِن القَذى بِجُفُوني

واعْتِبارَاً بِما أَنَّ الانْتِقامَ مِن المُجْرِمِ حاصِلُهُ شِفاءُ غَيْظٍ، لايَسْتَلْزِمُ ثَواباً دائِماً، وَسَعادَةً راهِنَة.

وفي الصَّفْحِ مَع مُقارَنَةِ النِّيّةِ الصّالِحَةِ تَحْصيلُ ذلك.

واعْتِبارَاً بِأَنَّ الكِبرِياءَ والعَظَمَةَ مُخْتَصَّةٌ بِكَمالِ جَلالِ إِلهِ الوُجُود، وفي البَطْشِ بِالانْتِقامِ نَوْعُ مُنازَعةٍ لِذلك الاخْتِصاص .

واعْتِبارَاً بِما أَنَّ عاقِبَةَ الصَّفْحِ ثَناءُ أَرْبابِ العُقُول، ومَحَبَّةُ المَصْفُوحِ عَنْه، وَحِلْيَةٌ جَميلَةٌ لِمن اعْتَمَدَه وقَرُبَ مِنه.

وذلِكَ مِمّا يَرْغَبُ فِيهِ الرَّاغِب ويَطْلُبُهُ الطَّالِب.

أَخْمِدْ بِحِلْمِكَ مايُذْكِيهِ ذُو سَفَهٍ
مِن نارِ غَيظِكَ واصْفَحْ إِنْ جَنى جاني
فَالحِلْمُ أَحْسَنُ ما ازْدانَ اللَّبيبُ بِهِ
والأَخْذُ بالعَفوِ أحلى ما جَنى جاني

واعْتِباراً بِما أَنَّهُ قَدْ تُسْتَهْجَنُ في العَادَةِ مُؤاخَذَةُ العَبْدِ لِمِثْلِه، كانَ مَحَلّاً لِصَفْحِ سَيِّدِهِ عَنْه.

واعْتِبـارَاً بِما أَنَّهُ قَدْ تُسْتَهْجَنُ في العَادَةِ مُؤاخَذَةُ العَبْدِ لِمِثْلِه، إِذا حَكَّمَهُ سَيِّدُهُ فِيه، وأَطْلَقَ لَهُ قَيْدَ تَسْويغِ الانْتِقامِ مِنه.

فَكَـذا يَلِيقُ بِمَنْ أَقْـدَرَهُ سَيِّدُ الخَلائِقِ على عَبْدِه، وَهُوَ مِثْلُهُ، أَنْ يَتجاوَزَ عَنْه.

واعْتِبارَاً بِما أَنَّ الذَّنْبَ لايَخْلُو أَنْ يَكُونَ صَغِيرَاً أَوْ كَبِيراً.

فَإِنْ كان الأَوّل، فَغَيْرُ مُسْتَبْدَعٍ صَفْحٌ عَنْ جُرْمٍ صَغِير وذَنْبٍ يَسِير.

وَإِنْ كان الثّاني، فالأَخْذُ بالحِلْمِ أَلْزَم، اعْتِبارَاً بِكَثْرَةِ الثَّوابِ في جانِبِ المُسامِحِ، وَوُفُورِ الشُّكْرِ.

وهذا المَعْنى لايَحْصُلُ قَبْلَ سَفَهٍ سَعَّرَ نارَاً بَرَّدَها الحِلْم.

وقد نَبَّه الغَنَويُّ على هذا بِقَوْلِه في مَرْثِيَةِ أَخِيه:

حَلِيمٌ إِذا ما سَوْرَةُ الجَهْـلِ أَطْلَقَتْ
حُبا[١٦١] الشَّيبِ لِلْقِرْنِ اللُّجُوجِ غَلُوبُ

ولقد أَحْسَنَ الكُمَيتُ ـ رَحِمَهُ اللهُ تَعالى ـ في مَدْحِهِ الغُرَرَ مِن بَني هاشِم عِنْدَ الصَّفْحِ وَوُفُورِ الجَرائِمِ، فَقال:

---

(١٦١) الحُبا: جمع حبوة، وهي أن يجمع الجالس بين ظهره وساقيه بعمامة ليستند.

وَمَــداريكَ للذُّحُــوُلِ [١٦٢] مَتاريـ
ـكَ ـ وَإِنْ أُحْفِظُوا[١٦٣] ـ لِعُورِ الكَلامِ [١٦٤]
لاحُــبــاهُمْ تُحَلُّ لِلمَنْــطِقِ الشَّغْـ
ـبِ[١٦٥] ولا لِلُّطامِ يَوْمَ اللِّطامِ

ومَنْ أَنْصَفَ نَفْسَهُ أَحْرَزَ لَها عَظِيمَ الأَجْرِ بَهِيجَ الذِّكْر.

واعْتِبارَاً بِما أَنَّ القُدْرَةَ تُبَرِّدُ أُوارَ[١٦٦] نارِ الحَفِيظَة، وتُطْفِئُ نارَ الغَضَب.

شُمْسُ [١٦٧] العَداوَةِ حَتّى يُسْتَقادَ[١٦٨] لَهُمْ
وَأَعْـظَمُ النّـاسِ أَحْـلامَاً إِذا قَدَرُوا

واعْتِبارَاً بما أَنَّ الجاني إِمّا أَنْ يَكُونَ أَشْرَفَ مِن المَجْنيِّ عَلَيه، أَوْ مِثْلَهُ، أَوْ دُونَه.

---

(١٦٢) الذحول: جمع الذحل، وهو الثأر.

(١٦٣) أُحفظوا: أُغضبوا.

(١٦٤) عور الكلام: قبائحه.

(١٦٥) الشغب: تهييج الشر.

(١٦٦) الأوار: الحرارة.

(١٦٧) الشُمس: جمع الشَّموس، وهو الرجل العسر في عداوته.

(١٦٨) استقاد: اعطى مقادته وخضع وذل.

والأوَّلُ يُسامَحُ لِفَضيلَته.

والثّاني لِتَصيرَ مَرْتَبَةُ المَجْنيِّ عَلَيهِ أَعْلى مِنْ مَرْتَبَتِه.

والثّالِثُ لِلْأَنَفَةِ مِن مُؤاخَذَته.

إِذا كان دُوني مَنْ بُلِيْتُ بِجَهْلِه
أَبَيْبُ لِنَفْسي أَنْ أُقابِلَ بِالجَهْلِ

وَإِنْ كان مِثْلي في مَحلّي مِن النُّهى
أَخَذْتُ بِحِلْمِي كَي أَجِلَّ عَن المِثْلِ

وَإِنْ كُنْتُ أَدنى مِنْهُ في الفَضْلِ والحِجى
عَرفْتُ لَهُ حَقَّ التَّقَدُّمِ والفَضْلِ

وقَدْ يُصْفَحُ عَن الشَّريفِ رَغْبَةً في مَوَدَّتِه، وَعن الدَّنيِّ لِرَذالَتِه.

وَأَغْفِرُ عَوراءَ الكَريمِ ادِّخارَهُ
وأُعْرِضُ عَن شَتْمِ اللَّئيمِ تَكَرُّما

وَقَدْ يُقْتَصُّ مِن المُذْنِبِ خَوْفَ تَمَرُّدِه.

إِذا أَنْتَ أَكْرَمْتَ الكَريمَ مَلَكْتَهُ
وَإِنْ أَنْتَ أَكْرَمْتَ اللَّئيمَ تَمَرَّدا

هذا ما خَطَرَ في الوَقْتِ الحاضِر، واسْتِفراغُ خَزائِنِ العُقُولِ يَحْتاجُ إلى لَبْثٍ في المَوارِدِ والمَصادِر.

* * *

معنى
يَتعَلَّقُ بالوَفاء

أَقُولُ:

إنَّ الوفَاءَ مِن أَسْرارِ مَذاهِبِ العَرَب، وخُلُق أَربابِ الدِّينِ والأَدَب.

فَكَمْ نَفْسٍ زَهَقَتْ في طَرِيقِه، وَدِماءٍ أُرِيقَتْ في تَحْقِيقِه.

وجُفُونٍ سَهِرَتْ في إِحْرازِ مَحاسِنِه، والغَوْصِ عَلَيهِ في أَماكِنِه.

وَهِمَمٍ رَكِبَتْ خُيُولَ الجِدِّ فِيه، وعَزَماتٍ نَهَضَتْ في تَحْصِيلِ مَعانِيه.

فَتَقَلَّدَ أَرْبابُها لِذلكَ عُقُودَ جَواهِرِ فَخْرٍ، لاتُنْزَعُ وَإِنْ نُزِعَ حُرُّ الأَرْواح، وأَنْواراً لاتَخْبُو في المَساءِ والصَباح.

فَهُمْ وَإِنْ حَلُّوا بَيْنَ صَفائِحِ القُبُور، أَحْياءُ الصَنائعِ مَنْشُورُو المَحامِد، ذَوو أَعْمارٍ طَوِيلَةٍ وَإِنْ قَصُرَتْ في الشاهد.

فياحَبَّذا أَرَجاً يَتَضَوَّعُ مِنْ رِياضِ هاتِيكَ الأَخلاق، وعَرْفاً يَذْكُو بِنُورِ وَصْفِهِمْ لا بنارِ الإِحْراق.

وَنَشْراً يَهُبُّ بِطِيبِ تذكارِهِمْ وَعِطْرِ فَخارِهِم.

وما نَفَحاتُ الرَّوضِ تُثْنِي على الحَيا
بِأَطْيَبَ مِنْ ذِكْرٍ لَهُمْ في المَحافِلِ

وحَصَل بِدَنَسِ العَذرِ[١٦٩] مَنَ رَضِيَ بِالدُّون.

وسَهَّلَ فَضائحَ العارِ، في إِخفارِ ذِمَّةٍ وإِسلامِ جار.

---

(١٦٩) العذر: كثرة العيوب.

مَن ذا يُبَـلِّغُ عَنّي النّــاسَ مَعْــذِرَةٍ
إذا غدا جارُ بَيْتي وَهْــوَ مَأْكُــولُ
تَنـازَعُ الطَيرُ بِالبَطْاحاءِ حُشْوَتَهُ[١٧٠]
يُقــالُ: مَنْ جارُ هذا؟ غالَــهُ غُولُ

صَغَّروا مِنْ مَحاسِنِ الأَخْلاقِ ماعَظَّمَتْهُ العُقُولُ وشَرَّفَتْهُ الهِمَمُ، فَماتُوا قَبْلَ المَوْت ودُفِنُوا قَبْلَ الدَّفْن.

وبَقِيَ بَعْدَ المَوْتِ مَنْ ضَرَبَ في المَجْدِ بِقِدحٍ، وفازَ مِن الوَفاءِ بِنَصِيب.

رَدَّتْ صَنــائِــعُــهُ عَلَيهِ حَياتَــهُ
فَكَــأَنَّــهُ مَنْ نَشْــرِهــا مَنْشُــورُ

معنى

قلتُ:

إذا صَدَقَت العَزَماتُ صَدَقَ خَبَرُ الخَصائِص[١٧١]، وإذا كذبت الهِمَمُ صَدَقَ خَبَرُ النَقائِص.

اعْتِبارَاً في الأَوَّلِ بِسَعَةِ أَبْوابِ المَجْدِ لِمَنْ أَرادَها، وفَسيحِ جَدَدِ[١٧٢] طُرُقِ الشَّرَفِ لِمَنْ أَمَّــها.

---

(١٧٠) الحشوة: الأمعاء.

(١٧١) الخصائص: الفضائل.

(١٧٢) الجدد: الأرض المستوية.

ولَيْسَ مَعْذُوراً مَنْ ادَّعى حَجْباً عَن أَبْوابِ الشَّرَف،أَوْ مَنْعاً في طُرُقِ المَجْد.

إذ الشَّرَفُ النَّفْسانيُّ لايُحْجَبُ عَنْهُ قاصِدُه، والفَخْرُ التَّحْقِيقيُّ لايُطْرَدُ عَنْ نَمِيرِ وِرْدِهِ وارِدُه.

إذا أَعْجَبَتْكَ خِلالُ امْرِئٍ
فَجِدَّ تَكُنْ مِثْلَ مَنْ يُعْجِبُكْ
فَلَيْسَ عَلى الفَضْلِ والمَكْرُماتِ
إذا جِئْتَها حاجِبٌ يَحْجُبُكْ

واعْتِباراً في الثّاني بما أَنَّ الشَّرَفَ المَحْضَ لايُدْرَكُ بِغَيرِ جِدّ، والفَخْرَ الحَقَّ لايُنالُ بِغَيرِ كُلْفة.

لاتَحْسَبِ المَجْدَ تَمْراً أَنْتَ آكِلُهُ
لَنْ تُدْرِكَ المَجْدَ حَتّى تَلْعَقَ الصَبِرا

معنى

أَقُول:

إنَّ مَنْ قَدَرَ على تَحْصِيلِ المَعاني الشَّرِيفَةِ مَحْجُوجٌ عِنْدَ اصْطِلائِهِ بِنارِ حَسَدِ مَنْ ظَفِرَ بِها.

اعْتِباراً بما أَنَّ الغَمَّ الَّذي يَجِدهُ لايَسْتَعْقِبُ سَعادَةً ، ولايَمْلِكُ زِمامَ انْتِصار.

وَلَو صَرَفَ هَمَّهُ ـ أوبَعْضَهُ ـ في مُخاصَمَةِ المَحْسُودِ مُحْرِزاً للخَصائِص، لاَسْتَظْهَرَ عَلَيهِ سالِماً مِن فَوادِحِ الحَسَدِ، سارِياً تَحْتَ راياتِ الانْتِصار.

مُسَرْبَلاً بِرِداءٍ مِنْ مَناقِبِهِ
يُظِلُّهُ النَّصْرُ والإقْبالُ والظَّفَرُ

معنى

قلتُ:

طَلائعُ العُقُولِ وأناسِيُّ أَحْداقِ[١٧٣] البَصائِرِ، ظاهرتان على أَسْرارٍ دَقَّقَ التَّدْبيرُ في سَتْرِها، وبالَغَ الفِكْرُ في إِخْفاءِ خَبَرِها.

اعْتِباراً بالتَجارِبِ الدّالَّةِ عَلى ذلك، وَبِأَنَّ شِباكَ الفَهْمِ تَصِيدُ قَصْداً أَوْ لا قَصْداً.

فَغَلِطَ - إِذاً - وَهْمُ مَن اطْمَأَنَّ إلى تَتابُعِ الزَّمَنِ، صائِناً لِما سَتَرَهُ التَّدْبيرُ وأَخْفَتْهُ الحِيلَة.

وَمَهْما تَكُنْ عِنْدَ امْرِئٍ مِنْ خَلِيقَةٍ
وَإِنْ خالَها تَخْفى عَلى النّاسِ تُعْلَمِ

معنى

قلتُ:

لَمّا ثَبُتَ في صَرِيحِ الأذْهانِ، كَوْنُ العَقْلِ وَالهَوى جُزْءَينِ مُتَنافِيَينِ غالِباً، ولامَخْلَصَ لِلْإِنْسانِ مِنْهُما.

وجَبَ عَلَيهِ أَنْ يَتَّبِعَ أَشْرَفَ القَبِيلَينِ وأَنْصَرَ الجُزْءَين، مُحارِباً لِلْآخَرِ.

---

(١٧٣) الأناسي: جمع الإنسان، وإنسان العين: المثال الذي يرى في سوادها، أي سواد العين.

اعْتِباراً بِشَرَفِ الأوَّلِ، ومايُرْجى مِن السَّعادَةِ بِصُحْبَتِهِ، وَأَنَفَةً مِن رَذالَةِ الآخَرِ، وَسُوءِ العاقِبَةِ في مُقارَبَتِه.

ولاشُبْهَةَ في كَوْنِ الشَّرفِ مَعْقُوداً بِأَلْوِيَةِ الحِزْبِ الَّذي يُدْني مِن شَرَفِ المَلائِكَة.

والخَساسَةِ لازِمَةً لِلْحِزْبِ الَّذي يُدْني مِن سُقُوطِ مَنْزِلَةِ البَهائِم.

والأوَّلُ حِزْبُ العَقْلِ.

والثّاني حِزْبُ الشَّهْوَةِ، المُقْتَرِنُ بالخَسائِسِ وفَضائِحِ النَّقْصِ.

وَمَنْ يَتَّبِعْ مايُعْجِبُ النَّفْسَ لَمْ يَزَلْ
مُطِيعَاً لَها في فِعْلِ شَيءٍ يَضيرُها
فَنَفْسَكَ أَكْرِمْ عَن أُمورٍ كَثِيرَةٍ
فَمالَكَ نَفْسٌ بَعْدَها تَسْتَعِيرُها
ولاتَقْرَبِ الأمْرَ الحَرامَ فَإنَّما
حَلاوتُهُ تَفْنى وَيَبْقى مَرِيرُها

معنى

أَقُولُ:

إنَّ العُقُولَ في اسْتِخراجِها دَفائِنَ المَطالِب، وَظُهُورِها على أَسْرارِ المَآرِب.

مُحْتاجَةٌ إلى رِياضاتٍ في مَيدانِ تَجْرِبَةٍ تَحْفى[١٧٤] فِيهِ جِيادُ الهِمَم،

---

(١٧٤) الحفى: رقة القدم أو الحافر من كثرة المشي.

وتتْعَبُ فِيهِ فُرسانُ الاعْتِبار.

فإن اضْطُرَّ العاقِلُ إلى التَّلَبُّسِ بِأَمْرٍ خَذَلَتْ عِنْدَهُ التَّجارِب، وقَصَّرَتْ عَنْهُ وَسائِلُ المُمارَسَة.

فالحُكْمُ عَلَيه في اجْتِناءِ التَّدْبيرِ مِنْ شَجَرِ بَصائِرِ ذَوي الرَّأْي، المُصادِمِينَ لِكَتائِبِ الحَوادِث، الخائِضِينَ في بِحارِ مُعالَجَةِ الدَّهْرِ، السّالِكِينَ مَسالِكَ الصَّواب.

إذا بَلَغَ الرَّأْيُ المَشُورَةَ فَاسْتَعِنْ.
بِرأْيِ نَصِيحٍ أَوْ نصاحَةِ حازِمِ
ولاتَجْعَل الشُّورى عَلَيكَ غَضاضَةً
فَإِنَّ الخَوافِي[١٧٥] قُوَّةٌ لِلْقَوادِمِ

معنى

قلتُ:

حَيْثُ الغالِبُ في بَني الدَّهْرِ الحَيْدُ[١٧٦] عَن مَسالِكِ الصَّواب، والمُبايَنَةُ لِشَرَفِ المَذاهِب.

فالواجِبُ أَنْ يُعْتَرَفَ لِمَن خَلَصَ مِنْ عَثَراتِ المَقاصِدِ أَوْكاد.

معناه حِذاراً مِنْ تَلَبُّسٍ بثيابِ بَغيٍ، وإِقْدامٍ عَلى خَطَرِ حَيْفٍ[١٧٧]

---

(١٧٥) الخوافي: ما دون الريشات العشر من مقدم الجناح.

(١٧٦) الحيد: الميل.

(١٧٧) الحيف: الظلم.

قَلَّ الثِّقــاتُ فَإِنْ ظَفِــرْتَ بواحِـدٍ
فَاشْــدُدْ يَدَيكَ عَلَيهِ فَهْــوَ وَحِــيدُ

معنى

قلتُ:

شَرَفُ عَزَمــاتِ الرِّجالِ يَلُوحُ في أُفُقِ مُخالَفَةِ الهوى، وَيظْهَرُ في مَطالعِ مُجاهَدَةِ الشَّهْوَة.

لا في وُفُــورِ أَفعْالِ الجَوارِحِ الخالي مِنْ نِزالِ أَعْداءِ الحَرَكات، وأَضْدادِ المَقاصِدِ الصَّالِحَة.

وَكَـمْ مِنْ خُلَّةٍ أَعْــرَضْــتُ عَنْهــا
لِغَــيرِ قِلىً وَكُــنْــتُ بِها ضَنِــينــا
أَرَدْتُ بِعــادَهــا فَصَــدَدْتُ عَنْهــا
وَلَــو هامَ الــفُــؤادُ بِها جُنُــونَــا

وكذا أَقُول:

إِنَّ برُهــانَ العُقُــولِ مَطْوِيٌّ في الإِصابَة مَعَ قِلَّةِ الاعْتِبارِ وَكَثْرَةِ العَوارِض ، لا مَعَ وفُورِ الفِكْرَةِ وَسَلامَةِ النَّفْسِ مِن الشَّواغِلِ ، أَوْعَدَم اطِّرادِ الإِصابَةِ أَو شُذُوذُها.

بَدِيهَــتُــهُ وَفِــكْــرَتُــهُ سَواءٌ
إِذا اشْتَبَهَتْ عَلى النّــاسِ الأُمُــورُ
وَأَحْــزَمُ مايَكُــونُ الــدَّهْــرَ يَومــاً
إِذا عَيَّ المُــشــاوِرُ والمُــشِــيرُ

وَصَــدْرٌ فِيهِ لِلْهَــمِّ اتّــسِــاعُ
إِذا ضاقَــتْ مِن الهَــمِّ الـصُــدُورُ

معنى

يَتَعَلَّقُ بِالْمَحَبَّةِ

كان يُمْكِنُ ذِكْرُهُ فِيما مَضى

مَن يَدَّعي مَحَبَّةَ مَعالي الأُمُورِ، وَبِغْضَةَ خَسائِسِ المَقاصِد.

وَهُوَ مَعَ ذلك خِدْنٌ صَرِيحٌ لِأَعْداءِ مَنْ أَحَبَّ، صديق مُخْلِصٌ لِخُلَصاءِ مَن أَبْغَض.

مِنْ إِجابَةِ داعي الراحَةِ والإِقبالِ على مُفاكَهَةِ سُمّارِ الدَّعَة.

خِدْنَي النَقْصِ ، عَدُوَّيْ شَرَفِ المَقاصِد.

هذا غَيْرُ مَعْقُولٍ في مَذاهِبِ المُحِبّين، وقَواعِدِ المُتَحابّين.

وَقَفَ الهَوى بِي حَيْثُ أَنْتِ فَلَيْسَ لي
مُتَــأَخّــرٌ عَنْــهُ وَلامُــتَــقَــدّمُ

أَجِــدُ المَــلامَــةَ في هَواكِ لَذِيذَةً
حُبّــاً لِذِكْــرِكِ فَلْتَــلُمْــنِي اللُّوَّمُ

أَشْــبَهْتِ أَعْــدائي فَصِــرْتُ أُحِبُّهُمْ
إِذْ كان حَظّي مِنْــكِ حَظّي مِنْهُــمُ

وَأَهَــنْــتِــنِي فَأَهَــنْتُ نَفْسي صاغِــراً
مامَــنْ يَهُونُ عَلَيكِ مِمَّنْ يُكْــرَمُ

معنى

عَرَضْتُـهُ عَلى مَولانا أمير المُؤمنينَ عَلَيهِ السّلامُ لَـمّا حَضَرْتُ مَشْهَدَهُ ذِمَّةُ العَرَبِ، وشَمائلُ قُرَيشٍ، وعَزَماتُ بَني هاشِمٍ، ومَجْدُكَ ياأمِيرَ المُؤمِنينَ.

وَسـائِـلٌ إلَيكَ في غَوْثِ مَنْ حَلَّ بِرَبْعِـكَ، ولاذ بِجَنابِكَ، وتَمَسَّكَ بِأَذْيالِ جِوارِك، واعْتَصَمَ بِحَرَمِ دَفْعِك[١٧٨].

فامْتَنَعَ بِحُسْنِ نَصْرِك، وسَرى تَحْتَ زاياتِ الاعْتِضادِ بِك.

قاضِيَةً[١٧٩] بِتَنَكُّبِ طُرُقِ التَّرَدُّدِ، وَنَزْعِ لِباسِ الحَيْرَةِ، في الوصُولِ بِكَ إلى بُغْيَةٍ، والظَفَرِ مِنْكَ بِمُرادٍ.

إذْ رُوحُ الوَعْدِ مِنها يَهُبُّ به نَسيمُ شَرَفِها، ويَهْتِفُ بِهِ مُقَدَّسُ فَخْرِها.

وَإنْ لَمْ تَنْطِقْ بِهِ الأَلْسُنُ أَوْ تَتَحَرَّكْ بِهِ الشِّفاه.

والكَريمُ إذا أَظَلَّ سَحابُهُ هَطَل، وإذا تَجَلّى غَمامُ وَعْدِهِ سَكَب.

ذَكَـرْتُ مَواعِيدَ الإمـامِ ابنِ هاشِمٍ
وَمِثْـلُ العَـطايا في الأكُفِّ عِداتُـهُ
فَباتَتْ بَناتُ الصَّدْرِ[١٨٠] مِنّي سَواكِناً
وَقَـدْ كان دَهْـراً لاتَقَـرُّبَنـاتُـهُ
وَزَكَّـيْتُ ما لَمْ أَحْـوِهِ مِن عِداتِـهِ
فَكُنْـتُ كَمَنْ حَلَّتْ عَلَيهِ زَكـاتُـهُ

---

(١٧٨) يعني دفع أمير المؤمنين عليه السلام الضيم عمن حل بجواره.

(١٧٩) صفة «وسائل» المتقدمة قريباً.

(١٨٠) بنات الصدر: الهموم.

فلا يَخيبَنَّ - يا أَمِيرَ الْمُؤْمنِين - بَيْنَ هذهِ الوَسائِلِ الأَمَلُ، ولا يُكْذَبَنَّ من أَبْوابِ جُودِكَ الرَّجاءُ.

فَقَدْ ضَمِنْتُ لآمالي مَآرِبَها
إِذا حَلَلْتُ بِوادِي رَبْعِكَ الخَضِلِ [١٨١]

معنى

قلتُ:

الحَنِينُ يَحْكُمُ فِيهِ قُضاةُ هاتِيكَ المَحاسِن.

ويُسَجِّلُ بِمَعْناهُ حُكّامُ ظاهِرِ تِلْك الأَخْلاق.

وتُوضِحُ عَن أَسْرارِهِ أَنْوارُ مُحَيّا ذلك السُّؤْدَد.

وتُذَكِّرُ بِهِ مُلاقاةُ الأَضْدادِ لِشَرَفِهِ، ومُفاجَأَةُ الأَغْيارِ المُنائِيةِ [١٨٢] لِفَخْرِه.

فالقَلْبُ والعَيْنُ مَمْنوعانِ بِالرِّحْلَةِ مِن رِياضَتِهِما، مَحْجُوبانِ عَنْ بُغْيَتِهِما.

لايَسْرَحانِ في رِياضِ نُزْهَة، ولايَسْتَلِمعانِ بارِقَ أُنْس.

وَهَلْ أَرِدَنْ ماءً وَرَدْنا بِمِثْلِه
جَمِيعاً، وفي غُصْنِ الهَوى وَرَقٌ رَطْبُ

---

(١٨١) الخضل: الخصيب.

وفي هامش المخطوط: «لمصنفه أدام الله أيامه».

(١٨٢) المنائية: المعادية.

وَهَــلْ لي بِدارٍ أَنْتَ فِيهــا إِقـامَـةٌ
فَأَنْشُـرُ ماتَـطْوي الرَسائِلُ والكُتْبُ
سَلَوْتُ المَعــالي إِنْ سَلَوْتُـكَ ساعَـةً
ومــا أنــا إِلا بِالعُــلى مُغْـرَمٌ صَبُّ

معنى

قلتُ:

الإِخْبارُ عِن الأحِبَّةِ يُحْيِي مَيتَ القُلُوب، ويُفَرِّجُ مُرْتَجَ[١٨٣] الكُرُوب.

يَلَذُّها المُحِبُّونَ كما يَلَذُّ المَريضُ الشِّفاء، والمُسافِرُ المُبْعدُ اللِّقاء.

ويَرَوْنَها عِوَضاً مِن مُفاكَهَةِ مَنْ أَحَبُّوه، وَمُحادَثَةِ مَنْ أَخْلَصُوه.

لِي كُلَّما ذُكِــرَتْ أُمَــيْمَــةُ بَهْجَــةٌ
وَمَــسَــرَّةٌ وتَــسَـعُّــرُ الأشْــواقِ
طابَتْ وطــابَ حَدِيثُهــا فأَعِـدْهُ لي
إِنَّ الحَــدِيثَ عَن الحَـبِـيبِ تَلاقِـي

معنى

قلتُ:

العَجَبُ مِمَّنْ أَعْرَضَ بَعْدَ إِقْبال، وصارَمَ غِبَّ وِصال.

---

(١٨٣) المرتج: المغلق.

لِغَيْرِ ما جَرِيَمةٍ أَحْدَثَها الدَّهْر، أَوْ إِساءَةٍ وَلَدَها الزَّمَن.

مَنَحـوُهُ بِالجَـزْعِ السَّـلامَ وَأَعْرَضُوا
بِالــغَــورِ عَنْــهُ فَما عَدا مِـمّا بَدا

معنى

قلتُ:

قد يَنْفثُ بِالقَلَقِ الجَلِيد، ويَنْطِقُ بِالجَزَعِ الشُّجاع.

كَمْ أُدارِي الـزَّمـانَ وَهْوَ عَلى الصَّعْ
بِ مُقِـيمٌ؟ وَكَـمْ أَكُـونُ جَلِيدا؟
عِيلَ صَبْرِي على نَوائِبِـهِ الـغُـرِّ
فَما حِيلَتي وَقَـدْ صِرْنَ سُودا

معنى

قلتُ:

النُّفُوسُ غالِباً تَتَطَلَّعُ إِلى ماتقصرُ عَنْهُ خَصائِصُها، ولاتَسْتَوْجِبُهُ مَحاسِنُها.

فإِذا صُدَّتْ عَن لَوازِمِ حُقُوقِها المَفْرُوضَة، وَ وظائِفِ مَعانِيها المَيْمُونَة.

مَمْنُوعَةً عَن مَقامٍ تَنَسَّمَ ذِرْوَتَهُ المُقَصِّرُون، وَبَلَغَ قُلَّتَهُ العاجِزُون.

أَبَتْ أَوْ كادَت[١٨٤].

إذا لَمْ يَكُنْ لِلْفَضْلِ ثَمَّ مَزِيَّةٌ
على الْجَهْلِ فَالْوَيلُ الطَّوِيلُ مِن العَيْنِ

معنى

قلتُ:

يَنْبَغِي لذي الاعْتِبارِ الصَّحِيح، أَنْ يُغْرِقَ في قَوْسِ الطَّلَب مَظِنَّةَ تَحْصِيلِ الأغْراضِ السَّامِية.

غَيْرَ مُتَعَلِّلٍ عَن الاجْتِهادِ، بِفَواتِ مُرادِهِ في الإِصْدارِ وَالإِيرادِ.

عَسى مَنْهَلٌ يَصْفُو فَتروى ظَمِيَّةٌ
أَطالَ صَداها المَنْهَلُ المُتَكَدِّرُ

لِسانُ المُعْرِقِينَ في العُرُوبيَّة، المُتَسَرْبِلِينَ بالأخْلاقِ السَّرِيَّة.

يَقُولُ عَنْهُمْ عِنْدَ شَعَفِهِمْ[١٨٥] بِبَذْلِ النَّدى، واهْتِزازِهِمْ بِنَسِيمِ الأرْيَحِيَّة، وغَرامِهِمْ بخوص[١٨٦] نَحْرِ الجلاد[١٨٧].

إذا كانَ منَّا واحِدٌ في قَبِيلَةٍ
جَلاهاَ وإِنْ ضاقَ الخَناقُ حَماها

---

(١٨٤) جواب «إذا».

(١٨٥) الشعف: الحب الذي يحرق القلب.

(١٨٦) خَوّص الإبل: قربها.

(١٨٧) الجلاد: الإبل الغزيرات اللبن.

وما اشْتَوَرَتْ إلا وأَصْبَحَ شَيْخَها
ولا احْتَرَبَتْ إلا وكانَ فَتاها
ولاضُرِبَتْ بَيْنَ القبابِ خِيامُهُ
فَكانَ لِمَأْوى الطّارِقينَ سِواها

أو يَقُولُ عِنْدَ اسْتِنْشاقِ أَرَجِ الطّارِقين، وَوُضُوحِ أَخْبارِ الوارِدين:

وَمُسْتَنْبِحٍ وَاللَّيْلُ هادٍ دَعَوْتُهُ
بِشَقراءَ[١٨٨] مِثْلِ الفَجْرِ ذاكٍ وَقُودُها
فَقُلْتُ لَهُ أَهْلاً وَسَهْلاً وَمَرْحَباً
بِوارِدِ نارٍ مُكْرَمٌ مَنْ يَرُودُها
فَإِنْ شِئْتَ آوَيْناكَ في الحَيِّ مُكْرَماً
وَإِنْ شِئْتَ بَلَّغْناكَ أَرْضاً تُرِيدُها

قلتُ: حَيْثُ يَعْرِفُ الأَحِبَّةُ صِحَّةَ غَرامِ المُحِبّ، وَوُفُورَ وَفاءِ الوَدُود.

فَلائِقٌ بِهِم بِناءُ بُعْدِهِ عَلى أَثْبَتِ آساسِ الأَعْذارِ، وأَوضَحِ طُرُقِ العَجْز.

أَشْتاقُكُمْ حَتّى إِذا نَهَضَ الهَوى
بِي نَحْوَكُمْ قَعَدَتْ بِيَ الأَيّامُ

وها أَنا أَخْتِمُ هذهِ المَعاني بِدَعَوات، ضارِعاً فيها لِمَلِيكِ الأَرَضِينَ والسَماوات.

فأقول:

---

(١٨٨) الشقراء: يعني النار.

دعاء

اللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، واجْعَلْ نِعَمَكَ عَلَينا وَقْفاً عَلى خِدْمَتِك، مَبْذُولَةً في أَشْرَفِ مَتاجِرِ طاعَتِك.

اللّهُم لاتَجْعَلْها حُجَّةً عَلَينا يَوْمَ العَرْضِ عَلَيك، والوُصُولِ إِلَيك.

حَيْثُ العَجْزُ عَنْ حِجاجٍ عاذِرٍ، وَجِدالٍ ناصِرٍ.

إِنَّكَ غَنِيٌّ كَرِيمٌ، لَطِيفٌ عَلِيمٌ.

يُخاطِبكَ فَقِيرٌ لَئِيمٌ حَقِيرٌ قَلِيل.

وقَدْ بَسَطَ يَدَيْهِ، راغِباً في هَطْلِ بِرِّكَ عَلَيه.

يامَنْ إِلَيهِ مَدَدْتُ كَفّي ... عَطاؤكَ الوافِرُ الجَزِيلُ

تَمَّ الكِتـابُ، والحَمْـدُ لله رَبِّ العالَمِين، وصَلاتُهُ على سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ وَآلِهِ الطاهِرين.

* * *

وقد وقع الفراغ من تنميقه قبيل الظهر من يوم الثلاثاء السابع عشر من شهر محرم الحرام، أول سنة ستّ وثمانين وتسعمائة، ببلدة أصفهان صينت عن طوارق الحدثان. بيمين من للعتبة العلمية العلوية الرضية الرضوية على مشرفها الصلاة والسلام والتحية ، من أحقر(؟) بل الكلب الباسط ذراعيه بالوصيد، العبد الفقير الحقير، تاج الدين حسين، وهو بالصاعد شهير، يسّر عليه كل عسير.

والكتاب هذا هو الذي سماه كتاب (زهرة الرياض ونزهة المرتاض) من كلام السيد الفقيه العالم العامل، جمال الدين ركن الإسلام، أفضل السادة أنموذج السلف الطاهر، أبي الفضائل أحمد بن موسى بن جعفر بن محمد الطاووس شرف الله قدره وقدس في الملأ الأعلى ذكره.

وشخص المنقول عنه ماكتب في آخره: بلغ عرضاً من نسخة عليها خط محمّد بن يحيى بن كرم، وخط الشيخ العالم محمّد بن الحسن الصغاني.

وقد عورض هذا بذاك في ضمن مطالعة، في مجالس آخرها أول النصف الآخر من ليلة الأحد الواقعة في أوائل النصف الثاني، من الشهر الأول من السنة السادسة، من العشر التاسع من المائة العاشرة، من الهجرة المقدّسة[١٨٩]، على من شرفت به وآله الأطهار الأبرار المعصومين شرائف

---

(١٨٩) هذا التاريخ يعني أول النصف الثاني من ليلة الاحد، ١٦ محرم الحرام، سنة ٩٨٦هـ.

وهو كما ترى، فقد وهم تاج الدين الصاعد في تأريخ اليوم، فإن كان يوم الاحد ١٦/محرم، فإن يوم الثلاثاء سيكون الثامن عشر منه. فكيف صار يوم الثلاثاء ١٧/محرم؟ والله ولي التوفيق.

وأقول: نجز العمل في ضبط نص هذا الكتاب يوم الخميس السادس عشر من ربيع

صلوات الله ولطائف تسليماته، والحمد لله رب العالمين.

ثم الصلاة والسلام والتحية والإكرام على سيّد المرسلين وآله الطيّبين الطاهرين، سيما باب مدينة علمه ومرساة سفينة حمله أمير المؤمنين.

ثم الحمد لله ربّ العالمين على الحمد لله ربّ العالمين.

* * *

→

الآخر سنة ١٤١٠ من الهجرة النبوية على صاحبها وآله ألف ألف صلاة وسلام وتحية.

والحمد لله رب العالمين.